جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي.

معهد العلوم الإسلامية.

قسم أصول الدّين.

تفسير سورة البقرة تفسيرا مقارنا

من الآية 124 إلى الآية 164

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية.

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

الإعداد:

- ✓ ضياء الحق قائد.
- ✓ عبد الحليم بالخير.
- ✓ منير ولابي.

الإشراف:

د/عبد القادر شكيمة.

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
مصباح مساوي	أستاذ محاضر – أ –	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا رئيسا
عبد القادر شكيمة	أستاذ متعاقد	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	مشرفا ومقررا
نبيل بوراس	أستاذ مساعد	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442ه–1443ه/2021م–2022م.

ملخص:

يعد التفسير المقارن لونا من ألوان التفسير الذي يهتم بالآيات المختلف فيها اختلافا حقيقيا معتبرا سواء كان اختلاف تنوع أو تضاد -على الصحيح-، وهذا اللون يعتبر حديث التأليف فيه تنظيرا كفن مستقل وقديما من جهة التطبيق والممارسة العملية؛ إذ تعد تطبيقات المفسرين في كتبهم هي المرجع الأساس للباحث في التفسير المقارن وتختلف مراتب المفسرين من حيث ممارستهم للمقارنة بين الأقوال التفسيرية المختلفة بين مستقل ومستكثر، فيعد الطبري أول وأكثر المفسرين سخاء في هذا الباب، ثم تتابع من بعده جملة من المفسرين في ذلك كل يغلب عليه العلم الذي يشتغل به، فالفقيه يغلب عليه في تفسيره التعرض للمسائل العلمية، والنحوي كذلك، والبلاغي كذلك وهكذا.وقد جعلنا لبحثنا هذا أربعة مباحث تناولنا في كل مبحث آية من سورة البقرة اختلف في تفسيرها وذلك ما بين الآية 124 إلى 164, قارنًا فيها بين تلك الأقوال وصولا إلى القول الأولى والأرجح.

Abstract :

Comparative Tafssir is one of the types of the Tafssirs, which is concerned with the different verses in which there is a real difference in consideration, whether it is a difference of diversity or contradiction to the correct one, and this type is considered new to theoretically as an independent art and in the past in terms of application and practical practice, as the applications of interpreters in their books are the main reference for the researcher in the comparative Tafssir and the ranks of the interpreters differ in terms of their practice of comparison between The various explanatory sayings between independent and multiplied, so Al-Tabari is the first and most generous interpreter in this section, and then a number of interpreters follow in it all that is overpowered by the knowledge that he works with, so the jurist dominates him in his interpretation of exposure to scientific issues, grammatical as well, and rhetoric as well and so on. and we have discussed these 4studies and its interpretations of surat al-baqarah and its differences and that is between verse 124 to164 .We compared these sayings arriving at the first and nost likely saying.

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، يقول صلى الله عليه وسلم **{لا يشكر الله من لا يشكر الناس}**[1] ، فبداية نتقدم بجزيل الشكر إلى والدينا ، وكل من علمنا ولو حرفا، كما نشكر أساتذة معهد العلوم الاسلامية ونخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور عبد القادر شكيمة المشرف على رسالتنا.

كما نشكر كل ما ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة بسيطة أو دعوة صالحة أو إرشاد أو توجيه أو نحو ذلك.

راجين من المولى عز وجل أن يتقبل منا صالح أعمالنا وأن يجعلها ذخرا لنا يوم نلقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[1] أخرجه أبو داود في سننه برقم 4811, باب في شكر المعروف, 188/7. ينظر سنن أبي داود تح: شعيب الأرناؤوط, ط: الأولى دار الرسالة 1430ه-2009م.

مقدمة.

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران (102).

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} النساء (01).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} الأحزاب (70-71).

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النّار.

يعتبر تفسير القرآن الكريم من أشرف العلوم وأرفعها قدرا من بين العلوم الشرعية لتعلقها بشرف المعلوم وهو كلام الله عز وجل الذي هو صفة من صفاته، وقد أمرنا سبحانه وتعالى بتدبر آياته وتعقّلها لغرض العمل بها فقال **{الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته..}** البقرة، وقال: **{أفلا يتدبرون القرآن}** محمد(24).

لقد فسر العلماء القرآن الكريم بطرق مختلفة وألوان متنوعة، قصد إيضاح ألفاظه وبيان معانيه، فمن تلكم الألوان التي ذُكرت في تفسير القرآن هو التفسير المقارن، وقد تباحث المفسرون في مراد الله عز وجل، واختلفوا أحيانا على أقوال عدة في الآية الواحدة، كل منهم له مورده وأدلته على حسب ما بدا له من قواعد الترجيح وأصول التفسير، فكان من جملة ما تباحثه المفسرون من السور في هذا السياق، واختلفوا في بعض آياتها سورة البقرة التي هي محل دراستنا في هذه الرسالة.

ومن هذا الذي تم ذكره نطرح التساؤلات الآتية:

-ما هي أهم المواضع التي اختلف فيها اختلافا حقيقيا معتبرا يصح فيها الترجيح بين الأقوال من الآية 124إلى الآية 164من سورة البقرة؟ وما هو القول الصحيح من بين تلك الأقوال؟

ويتفرع من هذين السؤالين الرئيسين بعض الأسئلة الفرعية:

-ما هو التفسير المقارن؟ وما هي أهميته؟ ومَن مِن العلماء وظّف هذا اللون في تفسيره؟

أولا: أهمية الدراسة:

-تسهيل الوصول إلى مظان الأقوال الصحيحة في التفسير من الأقوال المختلفة من سورة البقرة.

-معرفة القول الصحيح في الآيات المختلَف فيها من سورة البقرة.

ثانيا: أسباب الدراسة:

1-الأسباب الذاتية:

-الرغبة في دراسة الموضوعات الجديدة في مجال التفسير.

-التعرف على قواعد الترجيح وطريقة توظيفها لدى المفسرين.

2- الأسباب الموضوعية:

-كون هذا البحث يدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر.

-اعتبار البحث جاد وجامع لجميع موضوعات علوم القرآن وأصول التفسير.

ثالثا: أهداف البحث:

-الكشف عن ماهية التفسير المقارن.

-بيان اشتمال سورة البقرة على الموضوعات العقدية المختلفة والأحكام التشريعية المتنوعة.

-الإسهام في إحياء هذا اللون من التفسير بإفراد التأليف فيه.

-بيان الخلاف الحاصل والراجح من الأقوال في بعض آيات سورة البقرة.

-إظهار الحاجة إلى التفسير المقارن في سور القرآن الكريم.

-بيان اهتمام المفسرين بهذا اللون من التفسير.

رابعا: الدراسات السابقة.

من أهم الدراسات السابقة التي وقفنا عليها في هذه الرسالة وساهمت في إثراء مادتها العلمية بشكل مباشر ما يأتي:

1-روضة عبد الكريم فرعون، التفسير المقارن –دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة، جامعة العلوم الاسلامية، عمان-الأردن، تخصص: التفسير وعلوم القرآن، 1432ه/2011م:

تعد هاته الدراسة من أبرز الدراسات في التفسير المقارن حيث تميزت بضبط التفسير المقارن وحصره في الآيات المختلف فيها اختلافا حقيقيا معتبرا، ومع ذلك فقد اعتبرت هاته الدراسة أن الآيات المختلف فيها اختلاف التضاد لا يُعنى بها التفسير المقارن، والصحيح أن التفسير المقارن يشمل حتى الآيات التي اُختلف فيها اختلاف التنوع.

2-محمود عقيل معروف العاني، التفسير المقارن –دراسة تأصيلية تطبيقية، جامعة بغداد، كلية: العلوم الاسلامية، قسم: فلسفة أصول الدين، تخصص: تفسير، جمهورية العراق، 1434ه/2013م:

تعد هاته الدراسة من أنفس الدراسات الأكاديمية التي وسّعت مفهوم التفسير المقارن، حيث تعدّت في المقارنة مجال التفسير في القرآن إلى المقارنة بين مناهج المفسرين بل حتى بين عقائد الفرق، ومع هذا فإننا قد اتفقنا مه هذه الرسالة في بعض مواضيعها منها:

-كونها عرّفت بالتفسير المقارن ونشأته وجهود العلوم فيه.

-أنها أشارت إلى مواطن الخلاف بين بعض الآيات من هذه السورة.

-أنها وضعت نماذج تطبيقية في التفسير المقارن لهذه السورة أيضا.

خامسا: أهم المصادر والمراجع.

1- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لا. ط، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ت.

2- روضة عبد الكريم فرعون، التفسير المقارن –دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة، جامعة العلوم الاسلامية، عمان-الأردن، تخصص: التفسير وعلوم القرآن، 1432ه/2011م.

3- مساعد بن سليمان الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ط: 2، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1427ه.

4- محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لا.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

سادسا: المنهج المتبع في البحث.

-المنهج الاستقرائي التحليلي:

وقد اعتمدنا على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال ذكرنا للأقوال المختلفة وأدلتها.

2-المنهج المقارن:

ويبرز هذا المنهج في دراستنا من خلال مقارنة الأقوال بعضها ببعض ومناقشتها وإظهار الراجح من المرجوح منها.

سابعا: صعوبات البحث.

لقد اعترتنا بعض الصعوبات في بحثنا هذا وكان من أبرزها:

-أن طبيعة البحث تتطلب استقراء واسع ونظر شامل في كتب التفسير.

-أن التفسير المقارن تعتبر مادته مزيجا بين عدة تخصصات مع عمق مسائلها ودقتها مما صعّب علينا مراد بعض أقوال أصحاب التفسير.

-كون البحث حديث العهد في الدراسات الأكاديمية.

ثامنا: عملي في هذا البحث.

-اعتمدنا في الجانب المنهجي لهذه الرسالة على كتاب الأستاذ الدكتور: إبراهيم رحمـــاني الموسوم ب: خطوط رئيسية في كتابة البحوث الجامعية.

-اعتبارنا للمصدر هو ما كان يخدم موضوع بحثنا بشكل مباشر أو في مجال التخصـــص، والمرجع فيما عدا ذلك.

-بالنسبة للتراجم فقط ترجمنا للمغمورين فقط، أما ما كان معروفا كالصحابة والتابعين لم نترجم لهم إلا من كان غير مشهور، طلبا للاختصار وبعدا للحشو والاطناب.

جدول الرموز والكلمات:

الرمز	الكلمة
تح	تحقيق
لا.ط	لا طبعة
لا.م	لا مكان نشر
د.ت	دون تاريخ
ت	توفي
ج	جزء
ص	صفحة

نا	أخبرنا
ثنا	حدّثنا

ثامنا: خطة البحث.

مقدمة

مبحث تمهيدي: مفهوم التفسير المقارن والتعريف بسورة البقرة.

المطلب الأول: مفهوم التفسير المقارن ونشأته وجهود العلماء فيه.

المطلب الثاني: التعريف بسورة البقرة.

المبحث الأول : تفسير الآية الخامسة والثلاثون بعد المئة من سورة البقرة.

المطلب الأول : الأقوال و أصحابها.

المطلب الثاني : أدلة الأقوال.

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.

المطلب الرابع : سبب الخلاف.

المطلب الخامس : بيان الراجح من الأقوال.

المبحث الثاني : تفسير الآية الثالثة والأربعون بعد المائة من سورة البقرة.

المطلب الأول : الاختلاف في معنى : " وسطا ".

المطلب الثاني :الاختلاف في معنى " لنعلم " من قوله {إلا لنعلم من يتبع الرسول}.

المبحث الثالث : تفسير الآية السادسة و الأربعون بعد المئة من سورة البقرة.

المطلب الأول : الأقوال و أصحابها.

المطلب الثاني : أدلة الأقوال.

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.

المطلب الرابع: سبب الخلاف.

المطلب الخامس: الترجيح.

المبحث الرابع : تفسير الآية الخمسين بعد المئة.

المطلب الأول : الأقوال وأصحابها.

المطلب الثاني : أدلة الأقوال.

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.

المطلب الرابع: سبب الخلاف.

المطلب الخامس: الترجيح.

خاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

مبحث تمهيدي: مفهوم التفسير المقارن والتعريف بسورة البقرة

المطلب الأول: مفهوم التفسير المقارن ونشأته وجهود العلماء فيه

المطلب الثاني: التعريف بسورة البقرة.

مبحث تمهيدي: مفهوم التفسير المقارن والتعريف بسورة البقرة

المطلب الأول: مفهوم التفسير المقارن ونشأته وجهود العلماء فيه

سنعرض متطلبات هذا المطلب في ثلاثة فروع .

الفرع الأول: مفهوم التفسير المقارن

لغة: مأخوذ من الفسر .

قال ابن فارس: الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ [1]

وقد زعم قومٌ أنَّ «فَسَرَ» مقلوبٌ من «سَفَرَ» وهذا القولُ ليسَ بسديدٍ؛ لأنَّ الأصلَ أن يكون للفظةِ ترتيبُها، ودعوى القلبِ خلافُ الأصلِ

قال الآلوسيُّ: «والقول بأنه مقلوب السَّفر، مما لا يسفر له وجه» [2]

اصطلاحا: تعددت تعريفات العلماء للتفسير، وقد حرَر الدكتور مساعد الطيار مفهومه وخلص إلى أنَ التفسير هو: شرح وبيان معاني القرآن الكريم . فما كانَ فيه بيانٌ، فهو تفسيرٌ، وما كان خارجاً عن حدِّ البيانِ، فإنَّه ليس من التَّفسيرِ، وإن وُجِدَ في كتبِ المفسِّرينَ.[3]

---

1 أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، لا.ط، دار الفكر، لا.م، 1399هـ - 1979م، ج: 4 ص: 504.

2 مساعد بن سليمان الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ط: 2، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1427ه، ص: 53

3 ينظر: المصدر نفسه ص: 64 .

مفهوم المقارن:

أصل كلمة (المقارن) مجردة عن الزوائد (قرن)

قال ابن فارس: الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَالْآخَرُ شَيْءٌ يَنْتَأُ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ.

اصطلاحا: هي أن نقرن بين أمرين أو أكثر بغية أن نتعرف على ما بينهما من نقاط الالتقاء وأوجه الافتراق، وقد يمتد بنا إلى التعرف على عوامل الالتقاء و أسباب الافتراق[1].

مفهوم التفسير المقارن في التركيب الوصفي:

بعد أن بينَا مصطلحي التفسير والمقارن لغة واصطلاحا نشرع في بيان مصطلح التفسير المقارن في تركيبه الوصفي:

إن الناظر في ما كتبه المتقدمون من كتب التفسير وعلوم القرآن لا يكاد يجد للمصطلح حدا من الجانب التأصيلي النظري , وإن كانت كتب المفسرين القديمة والحديثة حوت الشيء غير القليل من جانبه التطبيقي[2].

ولعل أن أول من وضع تعريفا للتفسير المقارن من الباحثين المعاصرين الدكتور أحمد الكومي الذي كان له قصب السبق في فتح الباب في الحديث عن هذا اللون من ألوان

1 محمود عقيل العاني، التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية، رسالة دكتوراه في فلسفة أصول الدين، تخصص (تفسير)، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، 1434ه-2013م، ص: 40

2 ينظر: المصدر نفسه، ص: 80 , وينظر: روضة عبد الكريم فرعون، التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، 2011م 1432ه، ص: 17، وينظر: مساعد بن سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير، ط: 4لا.م دار ابن الجوزي 1433ه, ص:33.

التفسير وذلك في كتابه (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) إلا أن الدكتور توسع كثيرا في إدخال ما ليس منه, كإدخال:

- المقارنة بين مناهج المفسرين

- التوفيق بين ما ظاهره التناقض من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية

- المؤتلف والمختلف بين القرآن والكتب السماوية

وجل من جاء بعده اعتمد عليه في تعريفه ك:

الدكتور عبد الحي الفرماوي في كتابه: (البداية في التفسير الموضوعي –دراسة منهجية موضوعية).

الدكتور فهد الرومي في كتابه: (بحوث في أصول التفسير ومناهجه)

وربما وجد في بعضها زيادات أو تحديدا ووضوحا أكثر[1].

التعريف المختار للتفسير المقارن: لون من التفسير بالرأي, يقوم على جمع الأقوال التفسيرية المختلفة اختلافا معتبرا في موضع واحد من القرآن الكريم ودراستها لبيان الراجح منها بدليل مقبول[2].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن المقارنة بين الأقوال والترجيح بينها غير مقصور على المختلف فيه اختلاف تضاد , بل حتى ما يختلف فيه اختلاف تنوع , لكن الفرق بين الأول والثاني أن الأول يكون فيه التقديم للقول الصحيح وطرح الضعيف والساقط , أما الثاني فيكون لتقديم

1 ينظر: روضة عبد الكريم فرعون، التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة، مصدر سابق, ص: 17- 27.

2 المصدر نفسه، ص:35.

القول الأولى مع احتمال غيره من الاقوال ,تنص القاعدة على أن : الأصل في استخدام قواعد الترجيح في اختلاف التنوع أنه لتقديم الأولى, وفي اختلاف التضاد لتقديم القول الصحيح[1] .

الفرع الثاني: نشأته

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بَيَّنَ لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: **{لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}** [النحل: 44] يتناول هذا وهذا [2].

فلما كان ذلك كذلك علم أنه لا خلاف في التفسير في العصر النبوي ومن ثم لا وجود للمقارنة بين أقوال تفسيرية مختلفة, أما في عصر الصحابة فقد بدأ القول في التفسير بالرأي الذي هو سبب لوجود الخلاف وإن في عصر الصحابة قليلا وهو في التابعين أكثر ,قال ابن تيمية رحمه الله: كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم[3].

فنشأة التفسير المقارن متزامنة مع القول في التفسير بالرأي في ما بعد عصر النبوة , يقول الدكتور مصطفى المشني: إن المتتبع للتفسير ومراحله يجد أن التفسير المقارن من حيث الاستعمال قد لازم نشأة التفسير وبداياته , وإن لم يكن موجودا بالحد الاصطلاحي الذي عرف حديثا , ضرورة أن اختلاف المفسرين من الصحابة ومن جاء بعدهم وتفاوت

1 مساعد بن سليمان الطيار، التحرير في أصول التفسير، ط: 4، جدة, مركز الدراسات والمعلومات القرآنية 1439 -2018م، ص: 326.

2أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، لا.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان 1490هـ/1980م، ص: 9.

3 ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، مصدر سابق، ص: 10.

مداركهم وتعدد مصادر التفسير وطرقه النقلية والعقلية , كل ذلك أدى إلى التباين والاختلاف في الآراء وهذا بدوره اقتضى عرض الأقوال والنظر فيها ومناقشتها ثم الترجيح استنادا إلى الدليل [1].

إن أقدم التفاسير التي سارت على هذه الطريقة هو تفسير الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله (جامع البيان عن تأويل آي لقرآن) وقد جود وأبدع , وكان أسلوبه البديع في دراسة الأقوال التفسيرية ونقدها سببا في شهرة تفسيره حتى إنه أصبح علامة مميزة له .

فتفسير الطبري يمثل مرحلة مهمة في تاريخ تطور (التفسير المقارن) بعد أن ظهرت بداياته الأولى في عصر الصحابة رضي الله عنهم مرورا بعصر التابعين فقد كان واقعا معيشا ثم أصبح طريقة متبعة في التفسير.

وعلى الرغم من أنَ (التفسير المقارن) ليس وليدا جديدا , لكنَ أحدا لم يلتفت إلى تأطيره بإطار نظري تحديدا أو تأصيلا إلا في العصر الحديث[2] .

الفرع الثالث: جهود العلماء فيه

سبق وأن ذكرنا أن الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله هو أول من سار على طريقة نقد الأقوال التفسيرية ثم تبعه جملة ممن جاء بعده على هذا المنهج على تفاوت بينهم في طريقة عرض الأقوال المختلفة, يقول الدكتور مساعد الطيار: (فإن المفسرين لهم ثلاث طرق في حكاية الاختلاف:

1 مصطفى المشني، التفسير المقارن دراسة تأصيلية، مجلة الشريعة والقانون، العدد 26، ربيع الأول 1427ه-أبريل 2006م، ص: 137, وينظر: روضة عبد الكريم فرعون، التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة, مصدر سابق، ص:48.

2 روضة عبد الكريم فرعون، التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة, مصدر سابق، ص: 51-52.

الأولى: حكاية الاختلاف دون بيان الراجح من الأقوال؛ كتفسير الماوردي وابن الجوزي.

الثانية: حكاية الاختلاف مع بيان الراجح دون ذكر مستند الترجيح؛ كتفسير ابن عطية.

الثالثة: حكاية الاختلاف مع بيان الراجح والقاعدة الترجيحية التي هي سبب الترجيح، كتفسير الطبري والشنقيطي[1].

هذا في الجانب التطبيقي, أما الجانب النظري للتفسير المقارن فلم يلتفت إلى تأطيره بإطار نظري تحديدا أو تأصيلا إلا في العصر الحديث . – كما مر- ولم يكن لهذا المصطلح وجود إلا في منتصف القرن الماضي , تقول الدكتورة روضة عبد الكريم فرعون: وكان أول ظهور لمصطلح التفسير المقارن بعد منتصف القرن الماضي في مادة مقررة كانت تدرس لطلاب الدراسات العليا في الأزهر الشريف[2].

فأول من خاض هذا الميدان – فيما انتهى إليه علمي – الدكتور أحمد الكومي رحمه الله وجزاه خيرا في كتابه (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) وظهر أثر تعريفه على من كتب فيه بعده ك:

-الدكتور عبد الحي الفرماوي في كتابه (البداية في التفسير الموضوعي –دراسة منهجية موضوعية).

-الدكتور محمد الشافعي في كتابه (المنهج القويم في التفسير الموضوعي لآيات القرآن الحكيم)

-الدكتور جودة المهدي في كتابه (قصد السبيل في التفسير الموضوعي لآي التنزيل)

-الدكتور فهد الرومي في كتابه (بحوث في أصول التفسير ومناهجه).

1 مساعد بن سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير، مصدر سابق، ص:127.

2 روضة عبد الكريم فرعون، التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة, مصدر سابق، ص: 52.

كذلك نجد:

-الدكتور مصطفى إبراهيم المشني استند إلى تعريف الدكتور الكومي وبنى عليه بعد ترتيبه وتبويبه والزيادة عليه بحثا أصل فيه لهذا العلم سماه (التفسير المقارن دراسة تأصيلية) وهو أول دراسة مستقلة متخصصة في هذا الموضوع تناول فيه مسائل عدة جمعت بين النظرية والتطبيق[1].

-رسالة دكتوراه للدكتورة روضة عبد الكريم فرعون بعنوان (التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة)

-رسالة دكتوراه كذلك للدكتور محمود عقيل معروف العاني بعنوان (التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية)

المطلب الثاني: التعريف بسورة البقرة

سنحاول عرض ما بين يدي السورة في هذه الستة الفروع

الفرع الأول: أسماؤها وعدد آيها:

سميت هذه السورة سورة البقرة في المروي عن النبيء صلى الله عليه وسلم وما جرى في كلام السلف، فقد ورد في «الصّحيح» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كَفَتَاهُ»[2].

1 ينظر: المصدر نفسه، ص:17و22-23.

2 أخرجه محمد بن اسماعيل البخاري، ت265ه، الجامع الصحيح، تح: مصطفى ديب البغا, ط: 5، دار بن كثير ودار اليمامة، 1414 هـ / 1993 م ،كتاب فضائل القرآن ، باب فضل سورة البقرة، ج: 6، ص: 188.

وفيه عن عائشة: «لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ فِي الرِّبَا قَرَأَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَحَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ» .

ووجه تسميتها أنها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية ووصف سوء فهمهم لذلك، وهي مما انفردت به هذه السورة بذكره، وعندي أنها أضيفت إلى قصة البقرة تمييزا لها عن السور ال الم من الحروف المقطعة لأنهم كانوا ربما جعلوا تلك الحروف المقطعة أسماء للسور الواقعة هي فيها وعرفوها بها نحو: طه، ويس، وص وفي الاتفاق عن «المستدرك» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهَا سَنَامُ الْقُرْآنِ»[1].

وسنام كل شيء أعلاه وهذا ليس علما لها ولكنه وصف تشريف. وكذلك قول خالد بن معدان إنها فسطاط القرآن والفسطاط ما يحيط بالمكان لإحاطتها بأحكام كثيرة[2].

يقال لسورة البقرة: «فسطاط القرآن» وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت من الأحكام والمواعظ[3].

وتسمى: السنام، والذروَة، والزهراء، والفسطاط[4].

---

1 أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا , ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت 1411ه / 1990 ،كتاب التفسير سورة البقرة ج: 2، ص: 259.

2 محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لا.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج: 1، ص: 201.

2 أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422ه، ج: 1، ص: 81.

3 ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص: 81.

4 إبراهيم بن عمر البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط: 1، مكتبة المعارف، الرياض، 1408هـ/ 1987م، ج: 2، ص: 6.

الفرع الثاني: فضائلها ونزولها

سنذكر بعض فضائل السورة ومكان نزولها في نقطتين (أولا–ثانيا)

أولا: فضائلها:

روى أبو هريرة عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإنّ البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشّيطان»[1] .

وروى أبو أمامة عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «اقرأوا الزّهراوين: البقرة وآل عمران، فإنّهما يأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صوافّ، اقرءوا البقرة، فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»[2] . والمراد بالزّهراوين: المنيرتين. يقال لكل منير: زاهر.

والغياية: كل شيء أظلّ الإنسان فوق رأسه، مثل السّحابة والغبرة. يقال: غايا القوم فوق رأس فلان بالسيف، كأنهم أظلّوه به. قال لبيد: فتدلّيت عليه قافلا ... وعلى الأرض غيايات الطّفل.

ومعنى فرقان: قطعتان. والفرق: القطعة من الشيء. قال الله عزّ وجلّ: فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. والصوّاف: المصطفّة المتضامّة لتظلّ قارئها. والبطلة: السّحرة [3]

1 أخرجه مسلم في صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1374 هـ/ 1955م، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ج: 2 , ص188.

2 أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج: 2، ص: 197.

3 أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ ،ج:1، ص: 24.

ثانيا: نزولها:

قال ابن عباس رضي الله عنه: هي أوّل ما نزل بالمدينة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل. وذكر قوم أنها مدنية سوى آية، وهي قوله عزّ وجلّ: وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، فإنها نزلت يوم النّحر بمنى في حجّة الوداع [1]

الفرع الثالث: موضوعاتها ومقاصدها

سنذكر في هذا الفرع بعض موضوعات السورة ومقاصدها على سبيل الاختصارفي نقطتين (أولا–ثانيا)

أولا: موضوعاتها:

سورة البقرة، وهذه السورة طويلة، تقع في قريب من خمسين وجهاً من كتاب الله –عزّ وجلّ–، وإذا نظرت إلى هذه السورة، وجدت فيها موضوعات كثيرة، وجدت فيها الحديث:

–عن قصة آدم وخلقه.

–عن قصة إغواء إبليس له.

–عن قصص بني إسرائيل وما حدث لهم مع أنبيائهم.

–عن ذكر البر، والقصاص، والوصية، والصيام والجهاد، والحج، والحيض، والعِدد، والطلاق، وعدة المتوفى عنها.

–وذكر أيضا الموت والأدلة على البعث.

1المصدر نفسه، ص: 24.

-ذكر النفقة وأهميتها والترغيب فيها.

-التحذير من الوقوع في الربا.

-ذكر المعاملات المالية.[1]

ثانيا: مقاصدها:

هذه السورةُ – أي البقرة – مترامية أطرافُها، وأساليبُها ذاتُ أفنانٍ، قد جمعت من وشائجِ أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيبها فُسطاطَ القرآنِ؛ فلا تستطيعُ إحصاءَ محتوياتِها بِحُسْبان ومعظمُ أغراضها ينقسم إلى قسمين:

قسمٍ يُثْبِتُ سموَّ هذا الدين على ما سبقه، وعلوَّ هَدْيِهِ، وأصولَ تطهيره النفوسَ.

وقسمٍ يُبَيِّن شرائعَ هذا الدين لأتباعه، وإصلاح مجتمعهم.

ويحضر لنا من أغراضها[2] أنها ابتدئت بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحدياً إجمالياً بحروف التَّهَجِّي المفتتح بها رمزاً يقتضي استشرافَهم لِما يَرِدُ بَعْدَه، وانتظارَهم لبيان مَقْصِدِه؛ فَأَعْقَبَ بالتنويه بشأن القرآن؛ فَتَحَوُّلُ الرمزِ إيماءاً إلى بعض المقصود من ذلك الرمز له أشدُّ

1 محمد الخضيري، شرح مقاصد السور القرآنية، (https://vb.tafsir.net/forum)، بتاريخ: 09 ماي 2022 م الساعة: 19:00.

2 ومما ينبغي التنبيه عليه أن تسمية الشيخ ابن عاشور لتلك الأغراض متفاوتة، ففي غالب السور يسميها أغراضاً، وفي بعضها مقاصد على تنوع في عباراته؛ فتارة يقول: أغراض هذه السورة، وتارة يقول: أغراضها، وتارة يقول: مقاصدها، وتارة يقول: هذه السورة تضمنت كذا وكذا، إلى غير ذلك مما يورده. فلا مشاحة ـإذاًـ أن يقال: مقاصد السور، أو أغراضها، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، أغراض السور، لا.ط، لا.م، د.ت، ص: 2.

وقعاً على نفوسهم؛ فَتَبْقَى في انتظار ما يَتَعَقَّبُه من صريح التعجيز الذي سيأتي بعد قوله تعالى: **{وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ}** البقرة (22)[1].

وساق ابن عاشور كلاما طويلا في أغراض السورة لايسمح المقام بسوقه بطوله وسنختصر كلامه ونختار أهمه في النقاط التالية :

- التنويه بصدق هذا الكتاب وهديه .
- تصنيف الناس تجاه تلقيهم هذا الكتاب وانتفاعهم بهديه أصنافا أربعة (وكانوا قبل الهجرة صنفين).
- دعوة المنصفين إلى عبادة الرب الحق الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض.
- ذكر صفة بدء خلق الإنسان فإن في ذلك تذكيرا لهم بالخلق الأول قبل أن توجد أصنامهم التي يزعمونها من صالحي قوم نوح ومن بعدهم.
- قصة عداوة الشيطان للإنسان.
- التخلص للكلام عن أهل الكتاب الذين هم أشد الناس مقاومة لهدى القرآن.
- القاء الشك في النفوس بتأهل أهل الكتاب للاقتداء بهم ببيان أخطائهم كتلقيهم دعوة الإسلام بالحسد والعداوة حتى على الملك جبريل وغيرها.
- قرن اليهود والنصارى والمشركون في قرن حسدهم المسلمين والسخط على الشريعة الجديدة.
- ذكر فضائل المسجد الحرام، وبانيه، ودعوته لذريته بالهدى... وأن الإسلام على أساس ملة إبراهيم وهو التوحيد، وأن اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم.
- محاجة المشركين بالاستدلال بآثار صنعة الله.

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج: 1 ص:203.

- ذكر تشريعات الإسلام إجمالا بقوله: {**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**}البقرة: (177) ، ثم تفصيلا: كالقصاص، الوصية، الصيام، الاعتكاف، الحج وغيرها.
- وختمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية وذلك من جوامع الكلم[1].

الفرع الرابع: غريب الكلمات و بلاغة الآيات

نكتفي إن شاء الله بالقدر المحدد لنا دراسته .

أولا: غريب الكلمات:

قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي: لَا خلاف بَين أهل اللُّغَة أَن الذُّرِّيَّة تقال على الْأَوْلَاد الصغار وعَلى الْكِبَار أَيْضا .[2]

ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ أي : اختبر الله إبراهيم بكلمات .

جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ أي: معادا لهم .

الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ: أساسه. واحدها قاعدة. فأما قواعد النساء فواحدها قاعد. وهي العجوز.

جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً أي: عدلا خيارا.[3]

1 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج: 1 ص:203-205.

2 محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تح: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، ط: 2، دار العروبة، الكويت، 1407 - 1987 م، ص: 261.

3 أبو محمد عبد الله بن قتيبة، غريب القرآن تح: سعيد اللحام, لا.ط، ص:60 - 62

جُناح ...: إثم .[1]

أُوْلَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ: الصلاة: الدعاء. قال الله تعالى: **وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** (التوبة: 103) .

أي: ادع لهم، إنّ ذلك مما يسكّنهم وتطمئن إليه قلوبهم.

وقال: **{وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَواتِ الرَّسُولِ}** (التوبة: 99) يعني: دعاءه.

وقال الأعشى يذكر الخمر والخمّار:

وقابلها الرّيح في دنّها ... وصلّى على دنّها وارتسم

أي: دعا لها بالسلامة من الفساد والتغيّر.

والصّلاة من الله: الرحمة والمغفرة. قال الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** (الأحزاب: 56) . وقال: **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ** (الأحزاب: 43) وقال:

أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ {البقرة: 157} أي: مغفرة.

وقال النبي، صلّى الله عليه وسلم: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى»[2]

يريد: ارحمهم واغفر لهم.[3]

---

1 أبو حيان محمد بن حيان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تح: سمير المجذوب، ط: 1، المكتب الإسلامي، لا.م، 1403 هـ / 1983 م، ص:86.

2 أخرجه البخاري في صحيحه , كتاب الزكاة – باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة ج: 2ص: 129.

3 أبو محمد عبد الله بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، تح: إبراهيم شمس الدين، لا.ط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص: 255.

ثانيا: بلاغة الآيات:

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ وقدم المفعول على الفاعل للاهتمام، إذ كون الرب مبتليا معلوم، فإنما يهتم السامع بمن ابْتَلى، وكون ضمير المفعول متصلا بالفاعل موجب تقديم المفعول، فإنما بني الكلام على هذا الاهتمام[1].

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ وهاتن الجملتان مؤكدتان، أما الأولى فباللام، وأما الثانية فبإنّ وباللام.

وَلَمَّا كَانَ إِخْبَارًا عَنْ حَالَةٍ مُغَيَّبَةٍ فِي الْآخِرَةِ، احْتَاجَتْ إِلَى مَزِيدِ تَأْكِيدٍ، بِخِلَافِ حَالِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ أَرْبَابَ الْمَآلِ قَدْ عَلِمُوا اصْطِفَاءَ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْهُ وَنَقَلُوهُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَأَمْرٌ مُغَيَّبٌ عَنْهُمْ يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى إِخْبَارٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مُبَالِغًا فِي التَّوْكِيدِ[2].

في قوله تعالى: (**نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ**) الآية، فنّ من فنون البلاغة يسمى الاطراد وهو أن يطرد للمتكلم أسماء الآباء المخاطب مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد[3].

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ تعريضٌ بهم وإيذانٌ ببُطلان دعواهم اتباعَه عليه السلام مع إشراكهم بقولهم عزيرٌ ابنُ الله والمسيحُ ابن الله [4].

---

1 ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج: 1، ص: 205

2 أبو حيان محمد بن حيان، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، لا.ط، دار الفكر – بيروت 1420 ه، ج: 1، ص: 630.

3 محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ط: 4، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص- سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، 1415 هـ، ج: 1، ص: 192.

4 أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لا.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج: 1 ص: 166.

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ وفائدة تقديم الإِخبار به توطين النفس وإعداد الجواب وإظهار المعجزة[1]

يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ فإن قلت: لم اختص الأبناء ؟ قلت: لأنّ الذكور أشهر وأعرف، وهم لصحبة الآباء ألزم، وبقلوبهم ألصق .[2]

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فتأكيد الْجُمْلَة بأنّ لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ مُتَرَدِّدُونَ فِي كَوْنِهِمَا مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ وَهُمْ أَمْيَلُ إِلَى اعْتِقَادِ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَهُمَا مِنْ أَحْوَالِ الْجَاهِلِيَّةِ[3].

الفرع الخامس: القراءات ومشكل الإعراب

نعرض في هذا الفرع بعض القراءات وما يشكل في الإعراب , وذلك في المجال المحدد لنا دراسته في نقطتين (أولا-ثانيا)

أولا: القراءات:

{واتخذوا من} قرأه نافع وابن عامر بفتح الخاء، على الخبر، عمن كان قبلنا من المؤمنين، أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فهو مردود على ما قبله من الخبر وما بعده، والتقدير: واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى، واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم فكله خبر، فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان، فحمل على ما قبله وما بعده، ليتفق الكلام ويتطابق، فـــ «إذ» محذوفة مع كل خبر؛ لدلالة

1 أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـــ، ج:1، ص: 110.

2 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، لا.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ج: 1، ص: 204.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج: 2، ص: 60.

«إذ» الأولى الظاهرة على ذلك، وقرأ باقي القراء بكسر الخاء على الأمر، بأن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى، وبذلك أتت الروايات على النبي عليه السلام وروي أن النبي عليه السلام أخذ بيد عمر رضي الله عنه فلما أتيا المقام قال عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ فقال النبي: نعم. فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله جل ذكره: **{واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى}** على الأمر بذلك، أي افعلوه[1] .

وقال أبو عبيد: فلا أعلمه قرأها في حديثه، إلا بكسر الخاء، وكسر الخاء على الأمر هو الاختيار، لما ذكرنا عن النبي عليه السلام في ذلك، ولأن عليه جماعة القراء، وهو اختيار أبي عبيد وابي حاتم وغيرهما، وهي قراءة العامة في أكثر الأمصار، وأسند القراءة بها أبو حاتم إلى النبي عليه السلام وإلى عمر، وبذلك قرأ أبو جعفر يزيد وعطاء وابن محيصن وشبل والأعرج وطلحة والأعمش والجحدري وابن وثاب وأصحاب ابن مسعود.[2]

قَرَأَ ابْن كثير **{وَمَا الله بغافل عَمَّا يعْملُونَ}** بِالْيَاءِ أَي وَمَا الله بغافل عَمَّا يعْمل هَؤُلَاءِ الَّذين اقتصصنا عَلَيْكُم قصصهم أَيهَا الْمُسلمُونَ

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ على الْخطاب وحجتهم قَوْله قبلهَا **{ثمَّ قست قُلُوبكُمْ من بعد ذَلِك فَهِيَ كالحجارة} {وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ}**[3]

ثانيا: مشكل الإعراب:

صِبْغَةَ اللَّهِ انتصابُها بإضمار فعلٍ أي: اتَّبِعوا صبغةَ الله[4].

---

1 أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ج:1، ص: 89.

2 أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، ط: 1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1394 هـ / 1974 م، ج: 1، ص:263- 264.

3 أبو زرعة ابن زنجلة، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، لا.ط، دار الرسالة، لا.م، د.ت، ص 101.

4 أبو العباس أحمد بن يوسف الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، لا.ط، دار القلم، دمشق، ج: 2 ص:143.

{أموات بل أَحيَاء} ارتفعا على إِضْمَار مُبْتَدأ لكل وَاحِد أَي هم أموات بل هم أَحيَاء[1]

الفرع السادس: أسباب النزول و المناسبات

نعرض بعض ما روي من أسباب نزول بعض آي السورة (في المجال المحدد لنا دراسته) وشيئا مما حكي في مناسبات بعض آيها مع بعض في نقطتين (أولا-ثانيا)

أولا: أسباب النزول:

قوله تعالى: **{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا...}** البقرة (142).

عن البَراء بن عازبٍ رضي الله عنه، قال: ((كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ صلَّى نحوَ بيت المقدِس سِتَّةَ عَشرَ، أو سبعةَ عَشرَ شهرًا، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ يحبُّ أن يُوَجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فتوجَّه نحو الكعبة، وقال السفهاء من النَّاس- وهم اليهود -: مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فصلَّى مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ رجلٌ، ثمَّ خرَج بعدما صلَّى، فمرَّ على قومٍ من الأنصار في صلاة العصر نحوَ بيت المقدس، فقال: هو يَشهدُ أنَّه صلَّى مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأنَّه توجَّه نحوَ الكعبة، فتَحرَّف القومُ حتى توجَّهوا نحوَ الكعبة)) .[2]

وفيه أي: صحيح البخاري-: أنَّه ماتَ على القِبْلة قَبلَ أنْ تُحوَّلَ، رِجالٌ قُتِلوا، فلمْ نَدرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله:

1 أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، ط:2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405ه، ج: 1، ص: 114.

2 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ج: 1، ص: 88.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} .

قوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا}.

عن عُروةَ بن الزُّبَير قال: ((سألتُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها، فقلتُ لها: أَرأيتِ قَوْلَ اللهِ تعالى: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا؛ فواللهِ ما على أَحَدٍ جُنَاحٌ أنْ لا يطوفَ بالصَّفا والمروةِ، قالت: بَئْسَ ما قلتَ يا ابنَ أختي! إنَّ هذهِ لو كانت كَمَا أَوَّلْتَهَا عليه، كانت: لا جُنَاحَ عليهِ أنْ لا يَتَطَوَّفَ بهما، ولكنَّها أُنْزِلَتْ في الأنصارِ، كانوا قبلَ أن يُسلِموا، يُهِلُّونَ لـــمَناةَ الطَّاغية، التي كانوا يَعبُدونها عندَ المُشلَّلِ، فكان مَن أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أنْ يطوفَ بالصَّفا والمروةِ، فلمَّا أسلموا، سألوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن ذلكَ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، إنَّا كُنَّا نتحرَّجُ أن نطوفَ بينَ الصَّفا والمروةِ، فأنزَلَ اللهُ تعالى: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ الآية، قالت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: وقد سَنَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الطَّوافَ بينهما، فليس لِأَحَدٍ أن يترُكَ الطوافَ بينهما، ثم أَخْبَرْتُ أبا بكرِ بنَ عبدِ الرَّحمنِ فقال: إنَّ هذا لَعِلْمٌ ما كنتُ سمعتُهُ، ولقد سمعتُ رِجالًا من أهلِ العِلم يَذكرونَ: أنَّ النَّاسَ- إلَّا مَن ذَكرتْ عائشةُ- ممَّن كان يُهِلُّ بمناةَ، كانوا يطوفونَ كلُّهم بالصَّفا والمروةِ، فلمَّا ذكرَ اللهُ تعالى الطَّوافَ بالبيتِ، ولم يذكُرِ الصَّفا والمروةَ في القرآنِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، كُنَّا نطوفُ بالصَّفا والمروةِ، وإنَّ اللهَ أنزَلَ الطوافَ بالبيتِ فلمْ يذكُرِ الصَّفا، فهل علينا من حَرَجٍ أن نطوفَ بالصَّفا والمروةِ، فأنزلَ اللهُ تعالى: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ الآيةُ. قال أبو بكرٍ: فأسمعُ هذهِ الآيةَ نزلتْ في الفَريقيْنِ كِلَيهما، في الَّذين كانوا يَتحرَّجونَ أن يَطوفوا بالجاهليةِ بالصَّفا والمروةِ، والذينَ يَطوفونَ ثم تَحرَّجوا أن

يَطوفوا بهما في الإسلامِ؛ من أَجْلِ أنَّ اللهَ تعالى أَمَرَ بالطَّوافِ بالبيتِ، ولم يذكُرِ الصَّفا، حتى ذَكرَ ذلكَ بعدَما ذكرَ الطَّوافَ بالبيتِ)) [1].

ثانيا: المناسبات:

قال تعالى: **{قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}** ولما كان من إمامته اتباع الناس له في حج البيت الذي شرفه الله ببنائه قال إثر ذلك ناعياً على أهل الكتاب مخالفته وترك دينه وموطئاً لأمر القبلة: **{وإذ جعلنا البيت}** أي الذي بناه إبراهيم بأم القرى **{مثابة للناس}** أي مرجعاً يرجعون إليه بكلياتهم. كلما تفرقوا عنه اشتاقوا إليه هم أو غيرهم آية على رجوعهم من الدنيا إلى ربهم .[2]

قوله تعالى: **{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**البقرة (142).

مناسبة الآية لما قبلها:

والظاهر أن المراد بالقبلة المحولة القبلة المنسوخة وهي استقبال بيت المقدس أعني الشرق وهي قبلة اليهود، ولم يشف أحد من المفسرين وأصحاب «أسباب النزول» الغليل في هذا، على أن المناسبة بينها وبين الآي الذي قبلها غير واضحة فاحتاج بعض المفسرين إلى تكلف إبدائها.

والذي استقر عليه فهمي أن مناسبة وقوع هذه الآية هنا مناسبة بديعة وهي أن الآيات التي قبلها تكرر فيها التنويه بإبراهيم وملته، والكعبة وأن من يرغب عنها قد سفه نفسه، فكانت مثارا لأن يقول المشركون، ما ولى محمدا وأتباعه عن قبلتهم التي كانوا عليها بمكة أي استقبال الكعبة مع أنه يقول إنه على ملة إبراهيم ويأبى عن اتباع اليهودية والنصرانية، فكيف

1 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله، ج:2، ص:157.

2 إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لا.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج: 2، ص: 152.

ترك قبلة إبراهيم واستقبل بيت المقدس؟ ولأنه قد تكررت الإشارة في الآيات السابقة إلى هذا الغرض بقوله: **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** {الْبَقَرَة: 115} .

وقوله: **وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** {الْبَقَرَة: 120} كما ذكرناه هنالك، وقد علم الله ذلك منهم فأنبأ رسوله بقولهم وأتى فيه بهذا الموقع العجيب وهو أن جعله بعد الآيات المثيرة له وقبل الآيات التي أنزلت إليه في نسخ استقبال بيت المقدس والأمر بالتوجه في الصلاة إلى جهة الكعبة، لئلا يكون القرآن الذي فيه الأمر باستقبال الكعبة نازلا بعد مقالة المشركين فيشمخوا بأنوفهم يقولون غير محمد قبلته من أجل اعتراضنا عليه فكان لموضع هذه الآية هنا أفضل تمكن وأوثق ربط، وبهذا يظهر وجه نزولها قبل آية النسخ وهي قوله: **قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ** (الْبَقَرَة: 144)، لأن مقالة المشركين أو توقعها حاصل قبل نسخ استقبال بيت المقدس وناشئ عن التنويه بملة إبراهيم والكعبة[1].

قوله تعالى: {**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**} (158).

ذكر الرازي رحمه الله في مناسبة هذه الآية لما قبلها ثلاثة أوجه محتملة أقربها إلى الصواب – والله أعلم – قوله: اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجوه. أحدها: أن الله تعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته بإحياء شرائع إبراهيم/ ودينه على ما قال: **وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ** (البقرة 150)، وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم على ما ذكر في قصة بناء الكعبة وسعي هاجر بين الجبلين فلما كان الأمر كذلك ذكر الله تعالى هذا الحكم عقيب تلك الآية [2].

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج: 2 ص:5-6.

2 أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط: 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ، ج: 4، ص: 134-135.

المبحث الأول : تفسير الآية الخامسة والثلاثون بعد المئة من سورة البقرة تفسيرا مقارنا.

المطلب الأول : الأقوال و أصحابها.

المطلب الثاني : أدلة الأقوال .

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.

المطلب الرابع : سبب الخلاف.

المطلب الخامس : بيان الراجح من الأقوال.

المبحث الأول : تفسير الآية الخامسة والثلاثون بعد المئة من سورة البقرة تفسيرا مقارنا.

قال تعالى : {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} البقرة (135).

وقع الخلاف بين أهل التأويل في هذه الآية في معنى : "حنيفا " على أقوال, نبين ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول : الأقوال و أصحابها.

سنعرض في هذا المطلب ان شاء الله تعالى أهم الأقوال المحكية في هذه الآية, من غير استطراد في ذكر جميعها طلبا للاختصار, وذلك في الفروع التالية:

الفرع الأول : القول الأول : الحنف والحج

قالوا: فكل من حج البيت فنسك مناسك إبراهيم على ملته، فهو "حنيف" مسلم على دين إبراهيم .

أصحاب هذا القول هم : الحسن البصري وعطية العوفي والضحاك بن مزاحم ومجاهد وابن عباس وعبد الله بن القاسم[1] والسدي [2].

1 – أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن عليّ بن القاسم الشّهرزوريّ المنعوت بالمرتضى وأقام ببغداد مدة يشتغل بالحديث والفقه، ثم رجع إلى الموصل وتولى بها القضاء وروى الحديث، وله شعر رائق وكانت ولادته في شعبان سنة خمس وستين وأربعمائة، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وخمسمائة بالموصل، ودفن في التربة المعروفة بهم، رحمه الله تعالى. ينظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, تح: إحسان عباس, لا.ط, دار صادر – بيروت1900م.

2 – ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لا. ط، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ج: 3 ص 104-106. وينظر : تفسير القرآن العظيم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم تح : أسعد محمد الطيب، ط: 3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية ١٤١٩ هـ ج :1 ص 241

الفرع الثاني: القول الثاني : المتبع

صاحب هذا القول هو :مجاهد وروي عن الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ [1].

الفرع الثالث : القول الثالث : الاختتان

أبو عبيدة معمر بن المثنى [2]

الفرع الرابع : القول الرابع : المخلص دينه لله وحده .

صاحب هذا القول هو: خصيف[3] السدي[4]ومقاتل [5].

الفرع الخامس: القول الخامس: الاستقامة على دين إبراهيم، واتباعه على ملته.

صاحب هذا القول هو: الطبري .[6]

---

1 ينظر : جامع البيان، ابن جرير الطبري المصدر السابق، ج : 3 ص : 106و ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ج :1 ص 241.

2 أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تح : محمد فواد سزگين، لا.ط، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1381 هـــ، ج: 1 ص: 58.

3 خصيف بن عبد الرحمن الخضرمي الإمام الفقيه، أبو عون الخضرمي – بكسر الخاء المعجمة – الأموي مولاهم، الجزري الحراني. رأى: أنس بن مالك. وسمع: مجاهدا، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وطبقتهم. روى عنه: السفيانان، وشريك، ومحمد بن فضيل، وعتاب بن بشير، ومروان بن شجاع، ومحمد بن سلمة، ومعمر بن سليمان، أبو العباس محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: 3، مؤسسة الرسالة، لا.م، 1405ه/1985م، ج: 6، ص: 145-146.

4 ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج: 3 ص: 107و ينظر: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ط:3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419ه، ج :1 ص 242.

5 أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، ط: 1، دار إحياء التراث، بيروت، 1423 هـــ، ج: 1، ص: 141.

6 ينظر: ابن جرير الطبري, جامع البيان، المصدر السابق، ج : 3 ص : 107

هذه أهم الأقوال المذكورة عند المفسرين وذكروا أقوالا أخرى ترجع إلى ما ذكرناه من الأقوال.

المطلب الثاني : أدلة الأقوال.

سنعرض في هذا المطلب أدلة كل قول

الفرع الأول: دليل القول الأول:

فسر أهل هذا القول الحنيف بالحاج ذلك أن إبراهيم عليه السلام إمام من جاء بعده, فهم يأتمون به في مناسك الحج, يقول الطبري: إنما سمي دين إبراهيم الإسلام " الحنيفية " لأنه أول إمام لزم العباد – الذين كانوا في عصره، والذين جاءوا بعده إلى يوم القيامة – اتباعه في مناسك الحج، و الائتمام به فيه. قالوا: فكل من حج البيت فنسك مناسك إبراهيم على ملته، فهو "حنيف"، مسلم على دين إبراهيم.[1]

وأيضا فإن العرب في جاهليتها كانت تسمي الحاج حنيفا, يقول أبو عبيدة: الحنيف فى الجاهلية من كان على دين إبراهيم، ثم سمّي من اختتن وحج البيت حنيفا لما تناسخت السنون، وبقي من يعبد الأوثان من العرب قالوا: نحن حنفاء على دين إبراهيم، و لم يتمسكوا منه إلا بحج البيت والختان .[2]

1 ينظر: ابن جرير الطبري, جامع البيان، مصدر سابق، ج: 3، ص: 104.

2 أبو عبيدة، مجاز القرآن، مصدر سابق، ج : 1 ص : 58.

قال أبو حاتم: قلت للأصمعي: من أين عُرِفَ في الجاهلية الحنيف؟ قال: لأن من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم، وكان كل من حجَّ البيت سُمِّيَ حنيفًا، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا الحجَّ قالوا: هلموا نتَحَنَّفْ .[1]

الفرع الثاني: دليل القول الثاني:

المتبع بمعنى الاستقامة كما قال الطبري: كما وصفنا قبل، من قول الذين قالوا: إن معناه: الاستقامة. [2] وسيأتي ذكر دليله مع ذكر دليل الاستقامة إن شاء الله تعالى إذ هما قول واحد.

الفرع الثالث: دليل القول الثالث:

يقول الطبري : لأنه أول إمام سن للعباد الختان، فاتبعه من بعده عليه. قالوا: فكل من اختتن على سبيل اختتان إبراهيم، فهو على ما كان عليه إبراهيم من الإسلام، فهو "حنيف" على ملة إبراهيم .[3]

الفرع الرابع: دليل القول الرابع:

قوله تعالى "حنيفا" حال من إبراهيم عليه السلام وفيه مدح له صلى الله عليه وسلم إذ ليس في عمله شرك .[4] والشرك نقيض الإخلاص .

---

1 أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، تح : أصل تحقيقه في رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط: 1 عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430 هـ ج : 3، ص : 353.

2 ابن جرير الطبري, جامع البيان، المصدر السابق، ج: 3، ص:106

3 ابن جرير الطبري, جامع البيان، مصدر سابق، ج: 3، ص: 107، وينظر : مجاز القرآن أبو عبيدة، مصدر سابق، ج : 1، ص : 58

4 ينظر : محمد بن صالح بن محمد العثيمين تفسير الفاتحة والبقرة (المتوفى: 1421هـ) ط:1 دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، 1423 ه ج : 2 ص : 85

الفرع الخامس: دليل القول الخامس:

تفسير الحنف بالاستقامة موافق لما ذكره أهل اللغة .

والحنيفُ: المسلمُ، وقد سمِّي المستقيمُ بذلك كما سمِّي الغرابُ أعورَ.[1]

قال ابن فارس : الْحَاءُ وَالنُّونُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ مُسْتَقِيمٌ وَهُوَ الْمَيَلُ... ثَمَّ يُتَّسِعُ فِي تَفْسِيرِهِ فَيُقَالُ الْحَنِيفُ النَّاسِكُ... وَيُقَالُ هُوَ الْمُسْتَقِيمُ الطَّرِيقَةِ.[2]

وفي أصل الحنيف في اللغة وجهان: أحدهما: الميل، والمعنى أن إبراهيم حَنَفَ إلى دين الله، وهو الإسلام فسمي حنيفاً، وقيل للرجل أحْنَف لميل كل واحدة من قدميه إلى أختها. والوجه الثاني: أن أصله الاستقامة، فَسُمِّي دين إبراهيم (الحنيفية) لاستقامته وقيل للرجل أحنف، تطيّراً من الميل وتفاؤلاً بالاستقامة، كما قيل لِلَّدِيغ سليم، وللمُهْلِكةِ من الأرض مفازة.[3]

المطلب الثالث: مناقشة الأقوال.

سنحاول مناقشة هذه الأقوال في الفروع التالية:

1 أبو نصر إسماعيل بن حماد الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: 4، دار العلم للملايين – بيروت، 1407هـ - 1987م، ج : 4، ص : 1347.

2 أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة تح : عبد السلام محمد هارون ط : دار الفكر 1399هـ - 1979، ج : 2، ص : 111.

3 أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون تح : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، لا.ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

الفرع الأول: مناقشة القول الأول

لو كانت الحنيفية حج البيت، لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء. وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفا بقوله: **{وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** آل عمران (67).[1]

الفرع الثاني: مناقشة القول الثاني

سبق وأن ذكرنا في المطلب السابق أن المتبع بمعنى الاستقامة, وسيأتي الكلام عليه معها .

الفرع الثالث : مناقشة القول الثالث

لو كان الحنيف هو المختتن لكان اليهود حنفاء, يقول الطبري: لأن " الحنيفية " لو كانت هي الختان، لوجب أن يكون اليهود حُنفاء. وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله: **{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا}**[2].

الفرع الرابع: مناقشة القول الرابع

هذا القول فيه تخصيص من عموم الشريعة التي جاء بها الخليل عليه السلام .

قال مجاهد: الحنيفية اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس[3].

فالشريعة تشمل الإخلاص وجميع ما جاء به إبراهيم صلى الله عليه وسلم .فالشريعة لفظ عام

1 ابن جرير الطبري جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3 ص : 107

2 ابن جرير الطبري جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3 ص : 107.

3 أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي, معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح : محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ط : 4, دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1417ه/1997 م، ج : 1، ص : 155.

الفرع الخامس : مناقشة القول الخامس

أصل الحنف في اللغة هو الميل , قال ابن فارس : **الْحَاءُ وَالنُّونُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ مُسْتَقِيمٌ وَهُوَ الْمَيَلُ**[1]. فمن أين جاء معنى الاستقامة ؟

المطلب الرابع : سبب الخلاف

يرجع سبب الخلاف في تأويل كلمة الحنيف بين أهل التأويل إلى أمرين :

الأمر الأول : أنَ أصحاب القول الأول و الثالث والرابع قد قصروا عموم الاسم على بعض أوصافه .

قال ابن عطية : الحنف الاستقامة، وسمي المعوج القدمين أحنف تفاؤلا كما قيل سليم ومفازة، ويجيء الحنيف في الدين المستقيم على جميع طاعات الله عز وجل، وقد خصص بعض المفسرين، فقال قوم: الحنيف الحاج، وقال آخرون: المختتن ، وهذه أجزاء الحنف[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : أن يذكر كل منهم – أي السلف – من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه[3] .

الأمر الثاني : اختلاف النظرين من جهة الناظرين، وذلك كنظر فرقتي – أهل الجبر والقدر، حيث اعتبر أهل الجبر السبب الأول فقالوا: الأفعال كلها من جهة الباري – سبحانه وتعالى

1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج : 2، ص : 111، وينظر :الجوهري، الصحاح، ج: 4، ص : 1347، وينظر: أبو الفضل، محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط : 3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ج : 9، ص : 57.

2 ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج : 1، ص : 215.

3 ابن تيمية, مقدمة في أصول التفسير, مصدر سابق، ص14.

– إذ لولاه لم يوجد شيء منها، وقال أهل القدر: إن الممكنات من جهتنا، حيث اعتـــبروا السبب الأخير، وهو المباشر للفعل دون السبب الأول[1] .

فأصحاب القول الأول والثالث نظروا من جهة كون إبراهيم الخليل عليه السلام أول مـــن حج واختتن فلزم العباد الائتمام به ففسروا لفظة " الحنيف " بهما . يقول الطبري : إنمـــا سمي دين إبراهيم الإسلام "الحنيفية"، لأنه أول إمام لزم العباد –الذين كـــانوا في عصـــره، والذين جاءوا بعده إلى يوم القيامة– اتباعه في مناسك الحج، والائتمام به فيه. وقال : إنمـــا سمي دين إبراهيم "الحنيفية " لأنه أول إمام سن للعباد الختان، فاتبعه من بعده عليه[2] .

بينما نظر أصحاب الأقوال الأخرى إلى المعنى اللغوي الذي دلت عليه اللفظـــة , فـــالمتبع والمخلص دينه لله والمستقيم لاتخرج كلها عن المعنى اللغوي الموضوعة له , فترجع في مجملها إلى معنيي الميل والاستقامة .

المطلب الخامس: بيان الراجح من الأقوال

لايمكن تفسير" الحنيف " بالقول الأول ولا الثالث؛ ذلك أنه يوجب القول بأن المشـــركين الذين يحجون البيت واليهود حنفاء وقد نفى الله ذلك عنهم . يقول الطبري: لـــو كانـــت الحنيفية حج البيت ، لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشـــرك كانوا حنفاء. وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفا بقوله: **{وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [سورة آل عمران: 67] فكذلك القول في الختان. لأن " الحنيفية " لـــو كانت هي الختان، لوجب أن يكون اليهود حُنفاء . وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله: **{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا}** [سورة آل عمران: 67] .

1 أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني ، تح : محمد عبد العزيز بسيوني، لا. ط، كلية الآداب – جامعة طنطا، 1420 هـــ – 1999م، ج: 1، ص : 7.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3 ص :.104-107.

والقول الرابع فيه تخصيص من عموم الشريعة التي جاء بها الخليل عليه السلام من غـــير موجب لذلك من نص أو إجماع , والأصل أن اللفظ على عمومه حتى يأتي ما يدل علـــى تخصيص بعض أجزائه .

أما القول الخامس فإنه يترجح على غيره من الأقوال لأمرين :

- هذا القول يتطابق مع ما جاءت به كتب اللغة كما مر [1].
- هذا القول قال به أكثر المفسرين .

وممن قال به :

الطبري[2] وابن عطية [3]وابن الجوزي[4] والألوسي[5] والقاسمي[6] والثعالبي[7] وغيرهم .

قال الطبري : الحنف" عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم، واتباعه على ملته [8].

قال الرازي : أما قوله : حنيفا فلأهل اللغة في الحنيف قولان:

الأول: أن الحنيف هو المستقيم، ومنه قيل للأعرج أحنف، تفاؤلا بالسلامة، كمـــا قالوا للديغ: سليم، والمهلكة: مفازة، قالوا: فكل من أسلم لله و لم ينحرف عنـــه في شيء فهو

---

1 الفرع الخامس من المطلب الثاني.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3، ص :107.

3 ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج : 1، ص : 215.

4جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي, زاد المسير في علم التفسير, تح : عبد الرزاق المهدي ط: 1دار الكتاب العربي – بيروت, 1422 هـــ ج : 1 ص : 116.

5 شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح : علي عبد الباري عطية، ط : دار الكتب العلمية، بيروت الأولى، 1415ه، ج : 1، ص : 391.

6 محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، محاسن التأويل، تح : محمد باسل عيون السود، ط:1 دار الكتب العلميه – بيروت 1418 هـــ، ج : 1، ص :406.

7 أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح : محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود، ط: 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـــ ج : 1، ص : 324.

8 ابن جرير الطبري، جامع البيان، المصدر السابق، ج : 3، ص :107.

حنيف، وهو مروي عن محمد بن كعب القرظي[1].

أما القول الثاني وهو قول من قال أن الحنيف هو المتبع فقد سبق من قول الطبري بأنه بمعنى الاستقامة فيأخذ حكمه حكمه .

وأما"الحنيف"، فإنه المستقيم من كل شيء. وقد قيل: إن الرجل الذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى، إنما قيل له " أحنف " ، نظرا له إلى السلامة ، وقال آخرون: "الحنيف"، المتبع ، كما وصفنا قبل ، من قول الذين قالوا : إن معناه : الاستقامة .

فمعنى الكلام إذا: قل يا محمد : بل نتبع ملة إبراهيم مستقيما .

فيكون "الحنيف" حينئذ حالا من "إبراهيم"[2]

1 الرازي, مفاتح الغيب, ج: 4, ص:71.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج : 3، ص : 104-106.

المبحث الثاني : تفسير الآية الثالثة والأربعون بعد المائة من سورة البقرة تفسيرا مقارنا.

المطلب الأول : الاختلاف في معنى : " وسطا ".

المطلب الثاني :الاختلاف في معنى " لنعلم " من قوله {إلا لنعلم من يتبع الرسول }.

المبحث الثاني : تفسير الآية الثالثة والأربعون بعد المائة من سورة البقرة تفسيرا مقارنا.

قال تعالى:{ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** }البقرة (143).

وقع الخلاف بين أهل التأويل في هذه الآية في معنى : " وسطا ", ومعنى: " لنعلم ", ندرس ذلك في المطالب الآتية :

المطلب الأول : الاختلاف في معنى : " وسطا ".

سنقارن بين أقوال المفسرين في الآية وصولا إلى القول الراجح في الفروع التالية:

الفرع الأول: الأقوال وأصحابها.

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على ثلاثة أقوال :

القول الأول :أن يكون الله جل ثناؤه أراد بقوله "وسطا " أي عدولا .

أصحاب هذا القول: النبي صلى الله عليه وسلم [1] وأبو سعيد الخدري وابن عباس رضي الله عنهم وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة و الربيع وعبد الله ابن كثير وابن زيد [2]

القول الثاني : أن يكون مراد الله من قوله " وسطا ": أي: خيارا.

أصحاب هذا القول: ابن كثير الدمشقي [1].

1 ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3، ص: 143، ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج : 1، ص :249.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، المصدر السابق، ج : 3 ص : 142 – 145.

القول الثالث : أن يكون مراد الله من قوله " وسطا " : أي : الجزءُ الذي هو بين الطرفين أصحاب هذا القول :الكلبي[2] والطبري [3].

الفرع الثاني : أدلة الأقوال :

في هذا الفرع نعرض أدلة كل قول في النقاط التالية:

دليل القول الأول :

يقول الرازي الوسط هو العدل والدليل عليه الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى، أما الآية فقوله تعالى: قال أوسطهم [القلم: 28] أي أعدلهم، وأما الخبر فما روى القفال عن الثوري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أمة وسطا قال عدلا» وقال عليه الصلاة والسلام: «خير الأمور أوسطها» أي أعدلها، وقيل: كان النبي صلى الله عليه وسلم أوسط قريش نسبا، وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالنمط الأوسط».

وأما الشعر فقول زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي العظائم.[4]

وأما النقل فقال الجوهري في «الصحاح»: وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدلا وهو الذي قاله الأخفش والخليل وقطرب، وأما المعنى فمن وجوه. أحدها: أن الوسط حقيقة في

---

1 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح : سامي بن محمد السلامة، ط: 2، لا.م، دار طيبة، 1420 ه/ 1999 م.

2 الكشف والبيان عن تفسير القرآن أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)تح : عدد من الباحثين (21)(ومن أراد الاطلاع على هؤلاء المحققين :ينظر المقدمة ص :15 من هذا الكتاب) ج : 4 ص : 177و معالم التنزيل للبغوي ج : 1 ص :158.

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج : 3، ص : 142.

4 مفاتيح الغيب للرازي، مصدر سابق، ج : 4 ص : 84.

البعد عن الطرفين ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رديئان فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيدا عن الطرفين فكان معتدلا فاضلا.

وثانيها: إنما سمي العدل وسطا لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين.

وثالثها: لا شك أن المراد بقوله: وكذلك جعلناكم أمة وسطا طريقة المدح لهم لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفا ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهودا له ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلا وذلك مدح فثبت أن المراد بقوله: (وسطا) ما يتعلق بالمدح في باب الدين، ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم شهودا إلا بكونهم عدولا، فوجب أن يكون المراد من الوسط العدالة. ورابعها: أن أعدل بقاع الشيء وسطه، لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد والأوسط محمية محوطة فلما صح ذلك في الوسط صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهة دون جهة [1].

دليل القول الثاني :

تفسير الوسط بالخيار هو من تفسير القرآن بالقرآن .

قال ابن عاشور : فالوسط في هذه الآية فسر بالخيار لقوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس آل عمران: (110) [2] ويقول القاسمي : والمعنى: جعلناكم أمة خيارا لتكونوا شهداء على الناس، أي رقباء قوّاما عليهم بدعائهم إلى الحق وإرشادهم إلى الهدى وإنذارهم مما هم فيه من الزيغ والضلال. كما كان الرسول شهيدا عليكم بقيامه عليكم بما بلغكم وأمركم

1 الرازي، مفاتيح الغيب، ج : 4، ص : 84.

2 محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ج: 2، ص: 18.

ونهاكم وحذركم وأنذركم. فتكون الآية نظير آية كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [آل عمران: 110] ، وربما آثر هذا المعنى من قال: خير ما فسّر القرآن بالقرآن. لتماثل الآيتين بادئ بدء. فإن الوسط بمعنى الخيار. وقد صرح به في قوله خَيْرَ أُمَّةٍ وإلى هذا المعنى يشير قول مجاهد في الآية: لتكونوا شهداء لمحمد عليه السّلام على الأمم اليهود والنصارى والمجوس: أي شهداء على حقية رسالته. وذلك بالدعوة إليها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو قطب الدعوة وروحها .[1]

دليل القول الثالث :

قال الطبري : إنما وصفهم الله بأنهم "وسَط"، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها .[2]

الفرع الثالث: مناقشة الأقوال :

يمكن مناقشة هذه الأقوال بالتالي :

مناقشة القول الأول : تفسير الوسط بأنه خيار الشيء أوْلى من تفسيره بالعدالة؛ لأن العدالة لا تطلق على الجمادات، فكان أَوْلَى .[3]

وقال الرازي : الوسط من كل شيء خياره قالوا: وهذا التفسير أولى من الأول لوجوه.

1 القاسمي، محاسن التأويل، مصدر سابق، ج 1، ص415.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج : 3، ص : 142.

3 أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تح : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ط: 1، 1419 هـ/ 1998م، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ج : 3، ص : 11.

الأول: أن لفظ الوسط يستعمل في الجامدات قال صاحب «الكشاف» : اكتريت جملا من أعرابي بمكة للحج فقال: أعطى من سطا ثمنة أراد من خيار الدنانير ووصف العدالة لا يوجد في الجمادات فكان هذا التفسير أولى. الثاني: أنه مطابق لقوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس آل عمران: (110) القول الثالث: أن الرجل إذا قال: فلان أوسطنا نسبا فالمعنى أنه أكثر فضلا وهذا وسط فيهم كواسطة القلادة، وأصل هذا أن الاتباع يتحوشون الرئيس فهو في وسطهم وهم حوله فقيل وسط لهذا المعنى[1].

مناقشة القول الثاني: يمكن مناقشة هذا القول بأن تفسير الوسط بالخيار ليس أولى من تفسيرها بالجزءُ الذي هو بين الطرفين، مثل "وسَط الدار" , فأصل لفظ الوسط في اللغة هو الجزء بين الطرفين , قال أبو السعود : والوسط في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعواز والأوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن أوس الطائي :

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت ... بها الحوادث حتى أصبحت طرفا [2].

مناقشة القول الثالث :يمكن مناقشة هذا القول بأن تفسير الوسط بلازمه من العدالة والخيار صار حقيقة عرفية تواطأ عليها أهل اللغة والتفسير , قال ابن عاشور : والوسط اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض عرفا ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به أخذ فيه معنى الصيانة والعزة طبعا كوسط الوادي لا تصل إليه الرعاة والدواب إلا بعد أكل ما في

1 الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج : 4، ص :84 -85.

2 أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لا.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج:1، ص: 172.

الجوانب فيبقى كثير العشب والكلأ، ووضعا كوسط المملكة يجعل محل قاعدتها ووسط المدينة يجعل موضع قصبتها لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤة فيه، فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفا فأطلقوه على الخيار النفيس كناية قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي بمعضل

وقال تعالى: قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون [القلم: 28] .

ويقال أوسط القبيلة لصميمها. وأما إطلاق الوسط على الصفة الواقعة عدلا بين خلقين ذميمين فيهما إفراط وتفريط كالشجاعة بين الجبن والتهور، والكرم بين الشح والسرف والعدالة بين الرحمة والقساوة، فذلك مجاز بتشبيه الشيء الموهوم بالشيء المحسوس فلذلك

روي حديث: «خير الأمور أوساطها»

وسنده ضعيف وقد شاع هذان الإطلاقان حتى صارا حقيقتين عرفيتين[1].

الفرع الرابع: سبب الخلاف :

يرجع سبب الخلاف في الآية إلى معنى الوسط في اللغة فمن المفسرين من التزم بأصل معناه اللغوي الذي هو الجزء الذي استوى طرفاه , ومنهم من فسره بلازمه ومعناه الذي استعير له ففسره بالعدل والخيار والله أعلم .

الفرع الخامس: الترجيح : من خلال دراسة الأقوال السابقة نستنتج أن القول الأول هو الأولى من غيره من الأقوال ؛ ذلك أنه ثابت من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم والقاعدة الترجيحية تقول : إذا عرف التفسير من جهة النبي –صلى الله عليه وسلم– فلا حاجة إلى

1 محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج: 2 ص: 17-18.

قول من بعده [1]. وما كان ثابتا عنه صلى الله عليه وسلم فهو حجة على غيره من الأقوال ويجب المصير إليه . يقول الدكتور مساعد لطيار : التفسير النبوي المباشر حجة بلا خلاف , ولايجوز لمفسر تجاوزه بحال , وإليه المصير عند العلماء .[2]

قال أبو حيان الأندلسي : ومعنى وسطا: عدولا، روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تظاهرت به عبارة المفسرين. وإذا صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب المصير في تفسير الوسط إليه [3].

وقال الشوكاني: والوسط: الخيار أو العدل، والآية محتملة للأمرين، وما يحتملهما قول زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

ومثله قول الآخر:

أنتم أوسط حي علموا ... بصغير الأمر أو إحدى الكبر

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير الوسط هنا بالعدل[4] ، فوجب الرجوع إلى ذلك[5].

1 خالد بن عثمان السبت، مختصر في قواعد التفسير، ط: 1، دار ابن القيم، دار ابن عفان، 1426هـ/ 2005م، ص: 7.

2 مساعد الطيار، التحرير في أصول التفسير، ص73وص311

3 أبي حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج: 2 ص: 12.

4 أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب أحاديث الأنبياء, باب قول الله تعالى: {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم} [نوح: 1]- إلى آخر السورة – ج: 4, ص: 134.

5 محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط: 1، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، 1414ه، دمشق، بيروت، ج: 1، ص: 174.

وقولنا أولى و لم نقل الأرجح ذلك أن القولين الآخرين تحتملهما الآية والاختلاف فيها اختلاف تنوع الذي يرجع إلى أكثر من معنى صحيح[1].

وقد ذكر بعض المفسرين احتمال الآية لأكثر من معنى ,كقول الرازي بعد ذكره الأقوال الثلاثة : واعلم أن هذه الأقوال متقاربة غير متنافية والله أعلم.[2]

وقال الشوكاني : والوسط: الخيار أو العدل، والآية محتملة للأمرين[3].

المطلب الثاني :الاختلاف في معنى " لنعلم " من قوله {إلا لنعلم من يتبع الرسول }.

قال الراغب : إن قيل: ما وجه قوله: (إلا لنعلم)، وذلك يقتضي استفادة علم وقد علم أن الله تعالى لم يزل عالماً بما كان، وبما يكون؟ قيل إن ذلك من الألفاظ التي لولا السمع لما تجاسرنا على إطلاقها عليه تعالى[4].

الفرع الأول : الأقوال وأصحابها

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على ثلاثة أقوال رئيسية ترجع بقية الأقوال المحكية إليها:

القول الأول : أن يكون مراد الله من قوله " لنعلم " : ليعلم أوليائي وحزبي أصحاب هذا القول : ابن عباس رضي الله عنهما أسنده إليه الطبري بلفظ : لنميّز أهلَ اليقين من أهل الشرك والريبة . قال الطبري : قوله:"إلا لنعلم"، بمعنى: يعلم أوليائي وحزبي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

1 ينظر: مساعد بن سليمان الطيار، التحرير في أصول التفسير، مصدر سابق، ص326.
2 الرازي، مفاتيح الغيب، ج : 4، ص 85.
3 الشوكاني، فتح القدير، المصدر السابق، ج: 1، ص: 174.
4 الأصفهاني، تفسير الراغب، مصدر سابق، ج: 1، ص: 332.

* ذكر من قال ذلك:حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: "وما جَعلنا القبلةَ التي كنت عليها إلا لنعلم من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه"، قال ابن عباس: لنميّز أهلَ اليقين من أهل الشرك والريبة .

يظهر من هذا أنه قول للطبري أيضا , وقاله الفراء .[1]

القول الثاني : أن يكون الله جل ثناؤه أراد بقوله "لنعلم " : لنرى .

أصحاب هذا القول : نسبه لابن عباس الواحدي[2] في الوسيط والبسيط وابن الجوزي[3] في زاد المسير, وعلي بن أبي طالب [4].

القول الثالث : : أن يكون الله عزت قدرته أراد بقوله "لنعلم " : أي: لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب أو العقاب، أصحاب هذا القول : الثعلبي والواحدي وابن عطية والبغوي والرازي والبيضاوي والقرطبي وابن جزي ومحمد رشيد رضا والشنقيطي والسعدي وابن عثيمين .

الفرع الثاني : أدلة الأقوال

سنعرض في هذا الفرع أدلة الأقوال

دليل القول الأول :

---

1 ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، ج: 1، ص: 120، والبسيط الواحدي ج: 3، ص: 379.

2 ينظر: الواحدي، البسيط، ج: 3، ص: 379 ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، ط: 1، 1415 هـ / 1994 م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج: 1، ص: 226.

3 ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، ج: 1، ص: 120.

4 أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: 2، 1384هـ /1964 م، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج: 2، ص: 156

قال الطبري : كان من شَأن العرب إضافة ما فعلته أتباعُ الرئيس إلى الرئيس، ومَا فعل بهم إليه، نحو قولهم: "فتح عُمر بن الخطاب سَوادَ العراق، وجَبى خَرَاجها"، وإنما فعل ذلك أصحابه، عن سببٍ كان منه في ذلك. وكالذي رُوي في نظيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله جل ثناؤه: مَرضْتُ فلم يَعدني عَبدي، واستقرضته فلم يقرضني، وشتمني و لم يَنبغِ له أن يُشتمني.

- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالَ الله: استقرضتُ عَبدي فلم يُقرضني، وشتمني و لم يَنبغ له أن يشتُمني! يقول: وادَهراه! وأنا الدهر، أنا الدهر.

- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. [1]

فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه، وقد كان ذلك بغيره، إذ كان ذلك عن سببه.

وقد حكي عن العرب سماعًا : "أجوع في غَيْر بَطني وأعرى في غير ظهْري" بمعنى: جُوعَ أهله وعياله وعُرْيَ ظهورهم فكذلك قوله: "إلا لنعلم"، بمعنى: يعلم أوليائي وحزبي .[2]

قال الواحدي في البسيط : وحكى ابن الأنباري، عن الفراء، أنه قال: يجوز أن يكون الله جل اسمه أضاف العلم إليه، وهو للمخاطبين في المعنى، كما يجتمع جاهل وعاقل، فيقول الجاهل: الحطب يحرق النار. ويقول العاقل: النار تحرق الحطب، وسنجمع بينهما؛ لنعلم

1 قال الشيخ أحمد شاكر الحديثان: 2206، 2207- هما حديث واحد بإسنادين صحيحين . في تحقيقه لتفسير الطبري.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3، ص :159-160.

أيهما يحرق صاحبه؟. ومعناه: لتعلم أنت فينسب إلى نفسه فعل غيره، كذلك معنى الآية: إلا لتعلموا أنتم. ومثله: **{حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ}** [محمد: 31]، على هذا التأويل .

ويجوز في سَعَة العربية إضافة الفعل إلى من ليس له في الحقيقة، كقول العرب: طلعت الشِّعرى، وانتصب العود على الحرباء، معناه: انتصب الحرباء على العود، فنسب الانتصاب إلى غير فاعله، ومثله في الكلام: لا أرَيَنَّك ههنا، أوقع النهي على غير المنهي؛ لأن المنهيَّ المخاطب، وذكرنا هذا في قوله: **{فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** [البقرة: 132] [1] .

وكذلك ما يؤيد هذا القول قراءة الزهري , قال ابن عطية : وقرأ الزهري ليعلم على ما لم يسم فاعله[2].

وقد جود القرطبي هذا القول فقال : وقيل: المعنى إلا ليعلم النبي وأتباعه، وأخبر تعالى بذلك عن نفسه، كما يقال: فعل الأمير كذا، وإنما فعله أتباعه، ذكره المهدوي وهو جيد[3].

دليل القول الثاني :

قال الرازي : إلا لنعلم معناه: إلا لنرى، ومجاز هذا أن العرب تضع العلم مكان الرؤية، والرؤية مكان العلم كقوله: ألم تر كيف [الفجر: 6] [الفيل: 1] [إبراهيم: 19] ورأيت، وعلمت، وشهدت، ألفاظ متعاقبة[4].

وقال الطبري : العرَب تَضع "العلم" مكان "الرؤية"، و"الرؤية" مكان "العلم"، كما قَال جلّ ذكره: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) [سورة الفيل: 1] ، فزعم أن معنى

1 الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، مصدر سابق، ج: 3، ص: 379.
2 ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج: 1، ص: 220.
3 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج: 2، ص: 156.
4 الرازي، مفاتيح الغيب، ج : 4، ص90.

"ألم تر"، ألم تعلم؟ وزعم أن معنى قوله: "إلا لنعلم"، بمعنى: إلا لنرى من يتبع الرسول. وزعم أنّ قول القائل: "رأيتُ، وعَلمت، وشَهدت"، حروفٌ تتعاقب، فيوضَع بعضها موضع بعض، كما قال جرير بن عطية :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِبًا ... وَعَمْرَو بن عَمْرٍو إِذْ دَعَا يَالَ دَارِمِ

بمعنى: كأنك لم تعلم لَقيطًا، لأنّ بين هُلْك لَقيط وحاجب وزمان جرير، ما لا يخفى بُعده من المدة. وذلك أنّ الذين ذكرهم هلكوا في الجاهلية، وجريرٌ كان بعد بُرْهة مَضَت من مجيء الإسلام .

دليل القول الثالث :

من المعلوم الثابت في عقيدة المسلمين أن الله متصف بصفة العلم أزلا ولايزال عليما لا تخفى عليه خافية ولا يجوز عليه حدوث وابتداء علم بعد أن لم يكن وقد تظافرت عبارات المفسرين على هذا المعنى ونفي المعنى الفاسد عنه الذي قد يتبادر للسامع .

قال السمعاني : فَإِن قَالَ قَائِل: مَا معنى قَوْله: {إِلَّا لنعلم} وَهُوَ عَالم بالأشياء قبل كَونهَا؟

قُلْنَا بلَى كَانَ عَالما بِهِ علم الْغَيْب، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا: الْعلم الَّذِي يتَعَلَّق بِهِ الثَّوَاب وَالْعِقَاب، وَهُوَ الْعلم بِوُجُود الأتباع؛ فَإِن كَونه مَوْجُودا إِنَّمَا يعلم بعد الْوُجُود[1].

وقال ابن عطية : الله تعالى قد علم في الأزل من يتبع الرسول واستمر العلم حتى وقع حدوثهم واستمر في حين الاتباع والانقلاب ويستمر بعد ذلك، والله تعالى متصف في كل ذلك بأنه يعلم، فأراد بقوله لِنَعْلَمَ ذكر علمه وقت مواقعتهم الطاعة والمعصية، إذ بذلك

1 أبو المظفر منصور بن محمد المروزى، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: 1، الرياض، دار الوطن، 1418هـ/ 1997م.

الوقت يتعلق الثواب والعقاب، فليس معنى لِنَعْلَمَ لنبتدىء العلم وإنما المعنى لـــنعلم ذلـــك موجودا.[1]

وقال القرطبي : معناه علم المعاينة الذي يوجب الجزاء، وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، علم ما يكون قبل أن يكون، تختلف الأحوال على المعلومات وعلمه لا يختلف بل يتعلـــق بالكل تعلقا واحدا. وهكذا كل ما ورد في الكتاب من هذا المعنى من قوله تعالى:" وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء «1» "،" ولنبلونكم حتى نعلـــم المجاهـــدين مـــنكم والصابرين.[2]

وقال البيضاوي : هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء، والمعنى ليتعلق علمنا به موجوداً .[3]

وقال الرازي : وما جعلنا كذا وكذا إلا لنعلم كذا يوهم أن العلم بذلك الشيء لم يكـــن حاصلا فهو فعل ذلك الفعل ليحصل له ذلك العلم وهذا يقتضي أن الله تعالى لم يعلم تلك الأشياء قبل وقوعها، ونظيره في الإشكال قوله: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ}** [مُحَمَّدٍ: 31] وقوله: **{الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِـــيكُمْ ضَـــعْفاً}** [الْأَنْفَالِ: 66] وقولهُ: **{لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى}** [طه: 44] وقوله: **{فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا}** [الْعَنْكَبُوتِ: 3] وَقَوْلُهُ: **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّـــذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}** [آلِ عِمْرَانَ: 142] وقوله: **{وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِـــنْ**

1 ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج: 1، ص: 220.
2 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج: 2، ص: 157.
3 البيضاوي، أنوار التنزيل، مصدر سابق، ج: 1، ص: 111.

سُلْطانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ} [سبأ: 21] والكلام في هذه المسألة أمر مستقصى في قوله: وإذ ابتلى والمفسرون أجابوا عنه من وجوه [1].

وقال ابن جزي : لِنَعْلَمَ أي العلم الذي تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله .

وحكى الشيخ محمد رشيد رضا هذا القول واختاره فقال : المراد بالعلم في مثل هذا علم الظهور والوقوع، وذلك أن الله تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها أنها ستقع لا أنها واقعة، ويعلمها بعد وقوعها أنها وقعت، والجزاء يترتب على ما وقع بالفعل، فقوله هنا: (لنعلم) يراد الثاني ; أي: لنعلم علم وقوع ووجود يترتب عليه الثواب والعقاب، وليس معناه أنه تجدد له علم لم يكن، وإنما التجدد في المعلوم لا في نفس العلم ; أي: إن المعلوم لم يكن موجودا ثم وجد وظهر .

ثم قال : أَقُولُ: والمختار عندي التعبير عن علمه تعالى بالشيء قبل وجوده بعلم الغيب، وبعد وجوده بعلم الشهادة كما قلت آنفا ... فعلم الله قسمان: غيب وشهادة .[2]

وقال السعدي : **{إِلا لِنَعْلَمَ}** أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها.

ولكن هذا العلم، لا يعلق عليه ثوابا ولا عقابا، لتمام عدله، وإقامة الحجة على عباده، بل إذا وجدت أعمالهم، ترتب عليها الثواب والعقاب .[3]

---

1 الرازي، مفاتيح الغيب، ج : 4، ص: 89-90.

2 محمد رشيد بن علي رضا القلموني، تفسير القرآن الحكيم، لا.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، ج:2، ص: 8-9.

3 عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط:1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ /2000م، ص:70.

وقال الشنقيطي : قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ}**، ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَدْ يَتَوَهَّمُ مِنْهُ الْجَاهِلُ أَنَّهُ تَعَالَى يَسْتَفِيدُ بِالِاخْتِبَارِ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا - بَلْ هُوَ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَقَدْ بَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ بِالِاخْتِبَارِ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: **{وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** [3 \ 154] فَقَوْلُهُ: **(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)** بَعْدَ قَوْلِهِ: **(لِيَبْتَلِيَ)** دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَفِدْ بِالِاخْتِبَارِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ; لِأَنَّ الْعَلِيمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ غَنِيٌّ عَنِ الِاخْتِبَارِ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ عَظِيمٌ لِجَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا اخْتِبَارَهُ لِخَلْقِهِ، وَمَعْنَى **(إِلَّا لِنَعْلَمَ)** أَيْ: عِلْمًا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ فَلَا يُنَافِي أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَفَائِدَةُ الِاخْتِبَارِ ظُهُورُ الْأَمْرِ لِلنَّاسِ. أَمَّا عَالِمُ السِّرِّ وَالنَّجْوَى فَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيَكُونُ كَمَا لَا يَخْفَى.

الفرع الثالث : مناقشة الأقوال

يمكن مناقشة هذه الأقوال بما يأتي :

مناقشة القول الأول :هذا القول وإن كان له وجهه في لغة العرب وما يؤيده من قراءة الزهري وجوده بعض أهل التفسير والآية تحتمله إلا أن القول الثالث أولى منه وأرجح والله أعلم .

مناقشة القول الثاني : إن من قواعد التفسير المقررة عند أهل العلم أنه لا يجوز تفسير ألفاظ القرآن بغير ما تعرفه العرب من كلامها [1], والقول بأن "نعلم" بمعنى : "نرى" غير معهود في كلام العرب يقول الطبري موضحا ذلك : وهذا تأويل بعيدٌ، من أجل أنّ "الرؤية"،

1 ينظر: مساعد الطيار، التحرير في أصول التفسير، مصدر سابق، ص: 293.

وإن استعملت في موضع "العلم"، من أجل أنه مستحيلٌ أن يرى أحدٌ شيئًا، فلا توجب رؤيته إياه علمًا بأنه قد رآه، إذا كان صحيح الفطرة. فجاز من الوجه الذي أثبته رؤيةً، أن يُضَاف إليه إثباتُهُ إياه علمًا، وصحّ أن يدلّ بذكر "الرؤية" على معنى "العلم" من أجل ذلك . فليس ذلك وإن كان جائزا في الرؤية -لما وصفنا- بجائز في العلم، فيدلّ بذكر الخبر عن "العلم" على "الرؤية" . لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها، ويستحيل أن يَرَى شيئًا إلا علمه ، كما قد قدمنا البيان عنه . مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال: "علمت كذا"، بمعنى رأيته. وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم منَ الكلام ، إلى ما كان موجودًا مثله في كلام العرب، دون ما لم يكن موجودًا في كلامها . فموجود في كلامها "رأيت" بمعنى: علمت، وغير موجود في كلامها "علمت" بمعنى: رأيت، فيجوز توجيه: "إلا لنعلم" إلى معنى: إلا لنرى .[1]

ومن هنا يتبين من خلال كلام الطبري أن تفسير "نعلم" ب :"نرى" غير موجود في كلام العرب ولا تعرفه , فغير جائز تفسيره به والله أعلم .

مناقشة القول الثالث : لم نجد في ما اطلعنا عليه من أقوال المفسرين للآية من انتقد هذا القول أو قدم عليه غيره – غير الطبري – بل كل يذكره ويحمل معنى الآية عليه بدء من الثعلبي والماوردي والواحدي في القرن الخامس حتى عصرنا الحاضر .

الفرع الرابع: سبب الخلاف : إن مما حمل المفسرين على التماس القول الأنسب الموافق لقواعد الشرع وأصوله في تفسير معنى الآية هو ما يحمله ظاهر الآية من معنى تنفر منه الفطر ويأباه الشرع قال الأصفهاني : (إلا لنعلم)، وذلك يقتضي استفادة علم وقد علم أن

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3، ص :161.

الله تعالى لم يزل عالماً بما كان، وبما يكون[1]. والناظر في الأقوال المذكورة في الآية يجد أنها أقوال تدفع المعنى الموهوم الذي قد يرد على بعض الأسماع , قال ابن عطية بعد ذكر بعض الأقوال المحتملة للآية :

وهذا كله متقارب، والقاعدة نفي استقبال العلم بعد أن لم يكن .

الفرع الخامس: الترجيح : يقول الشيخ مساعد الطيار: إذا كان الخلاف في الآية من باب اختلاف التنوع الذي يرجع إلى معنيين صحيحين فأكثر والآية تحتملهما, فإنه يجوز إعمال القواعد الترجيحية في هذه الحالة على سبيل تقديم القول الاولى , مع احتمال غيره وقبوله , لكنه بدرجة أقل من القول المرجح[2].

وبناء على ذلك فإن القاعدة الترجيحية تقول : القول المجمع عليه (أو قول الجمهـــور) مقدم على غيره[3] , وقاعدة : تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملًا.[4] وبعد النظر في كتب التفسير يجد – كما تبين مـــن قبـــل – أن جماهير المفسرين يقولون بالقول الثالث الذي يقول بأن معنى العلم في الآية هو العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب , مما يدفعنا للقول بأن القول الثالث أولى من القول الأول و إن كان الأول محتملا وله وجهه – كما تقدم -.

1 الأصفهاني، تفسير الراغب، مصدر سابق، ج: 1، ص: 332.

2 ينظر: مساعد الطيار، التحرير في أصول التفسير، مصدر سابق، ص: 326.

3 المصدر نفسه ص318.

4 خالد السبت، مختصر في قواعد التفسير، مصدر سابق، ص: 29.

المبحث الثالث : تفسير الآية السادسة و الأربعون بعد المئة من سورة البقرة. تفسيرا مقارنا

المطلب الأول : الأقوال و أصحابها.

المطلب الثاني : أدلة الأقوال.

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.

المطلب الرابع: سبب الخلاف.

المطلب الخامس: الترجيح.

المبحث الثالث : تفسير الآية السادسة و الأربعون بعد المئة من سورة البقرة تفسيرا مقارنا.

قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} البقرة (146).

وقع الخلاف بين أهل التأويل في هذه الآية في عود ضمير الغائب في قوله :" يعرفونه " على قولين سنعرضها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول : الأقوال و أصحابها.

سنعرض في هذا المطلب أهم قولين محكيين في الآية :

الفرع الأول : القول الأول : عود الضمير على النبي صلى الله عليه وسلم.

أصحاب هذا القول هم : خُصَيْفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[1] , قال ابن عطية : قال قتادة ومجاهد وغيرهما: هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم [2],وقال ابن الجوزي : أنها تعود على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قاله ابن عباس .[3]

الفرع الثاني : القول الثاني : عود الضمير على تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ.

أصحاب هذا القول هم : قال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، ثنا أَبِي، ثنا عَمِّي عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ يَعْنِي بِذَلِكَ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ.

1 ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج: 1، ص: 255.
2 ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج : 1، ص : 224.
3 ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، ج: 1، ص: 122.

حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ، ثنا أسباط، عن السدي:

يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ يَعْرِفُونَ الْكَعْبَةَ أَنَّهَا هِيَ قِبْلَةُ الأَنْبِيَاءُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ. وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أنس، والحاك، نَحْوُ ذَلِكَ [1]. والحاكي هو السدي .

وحكى نحوه الطبري وزاد : حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" قال: اليهود يعرفون أنها هي القبلة، مكة.

حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج في قوله: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" قال، القبلةُ والبيتُ .

وكذا به قال مقاتل بن سليمان : الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ يعنى اليهود منهم أَبُو ياسر بن أخطب، وكعب بن الأشرف وكعب بن أسيد، وسلام بن صوريا، وكنانة بن أَبِي الحقيق، ووهب بن يهوذا. وأَبُو نَافِع،

فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم - لَمْ تطوفون بالكعبة وإنما هِيَ حجارة مبنية. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: إنكم لتعلمون أن الطواف بالبيت حق ، فَإِنَّهُ هُوَ القبلة مكتوب فِي التوراة والإنجيل، ولكنكم تكتمون ما في كتاب اللَّه من الحق وتجحدونه.

فَقَالَ ابْن صوريا: ما كتمنا شيئًا مما فِي كتابنا فأنزل اللَّه- عَزَّ وَجَلّ- الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَقُولُ أعطيناهم التوراة يَعْرِفُونَهُ أَي يعرفون البيت الحرام أَنَّهُ القبلة كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ يعني طائفة من هَؤُلاءِ الرؤوس لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ يعني أمر القبلة وَهُمْ يَعْلَمُون أن البيت هُوَ القبلة ثُمّ قَالَ- سُبْحَانَهُ-: الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يا محمد إن القبلة التي

1 ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج: 1، ص: 255

ولينا كها هِيَ القبلة فَلا يعني لئلا تَكُونَنَّ يا محمد مِنَ الْمُمْتَرِينَ يعنى من الشاكين أن البيت الحرام هو القبلة.[1]

وحكي فيه قول آخر وهو عود الضمير على القرآن لكنه ضعيف أعرضنا عنه لأنه ظاهر الضعف ولا تقوم له حجة و لم نجد من المفسرين – فيما اطلعنا عليه – من احتفل بـــه أو قواه والله أعلم .

المطلب الثاني : أدلة الأقوال

سنعرض في هذا المطلب أدلة كل قول في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول : دليل القول الأول : مما يستدل به على صحة هذا القول أمور :

أولها :الأثر المروي عن عمر رضي الله عنه. قال الثعلبي : أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أنا أحمد بن محمد ابن شاذان قال: نا جيعويه بن محمد قال: نا صالح بن محمد ، عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لعبد الله بن سلام: قـــد أنزل الله عز وجل على نبيه **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُـــونَ أَبْنَـــاءَهُمْ}** فكيف يا عبد الله هذِهِ المعرفة؟ فقال عبد الله بن سلام: يا عمر، لقد عرفته فـــيكم حـــين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب، وأنا أشد معرفة بمحمد – صـــلى الله عليه وسلم – مِنِّي لابني. فقال عمر: وكيف ذلك ؟ قال: أشهد أنه رسول (الله – صـــلى

1 تفسير مقاتل بن سليمان ج 1 ص 148

الله عليه وسلم -) حقٌّ من الله، وقد نعته الله تعالى في كتابنا، ولا أدري ما يصنع النساء، فقال له عمر: وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وأصبت [1].

ثانيها :تلوين الخطاب ؛ ذلك أن السياق بسباقه ولحاقه يتكلم في القبلة والضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم قال الثعلبي : قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ} الآية، الكناية في {يَعْرِفُونَهُ} تعود إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - عند أكثر المفسرين . وكنى عن محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ذكره في الخطاب؛ على عادة العرب في تلوين الخطاب [2].

ويعد التفاتا من الخطاب إلى الغيبة قال ابن عاشور : فَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ فِي يَعْرِفُونَهُ لَا يَعُودُ إِلَى تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَصَارَتِ الْجُمْلَةُ تَكْرِيرًا لِمَضْمُونِ قَوْلِهِ: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، بَلْ هُوَ عَائِدٌ إِمَّا إِلَى الرَّسُولِ وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْ ذِكْرٌ لِمُعَادٍ مُنَاسِبٍ لِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ، لَكِنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ وَتَكَرَّرَ خِطَابُهُ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ: وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها [الْبَقَرَة: 143] ، وَقَوْلِهِ: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ [الْبَقَرَة: 144] ، وَقَوْلِهِ: فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً [الْبَقَرَة: 144] ، وَقَوْلِهِ: فَوَلِّ وَجْهَكَ [الْبَقَرَة: 144] فَالْإِتْيَانُ بِالضَّمِيرِ بِطَرِيقِ الْغَيْبَةِ مِنَ الِالْتِفَاتِ، وَهُوَ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ أَيْ يَعْرِفُونَ صِدْقَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى الْحَقَّ فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ: لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ فَيَشْمَلُ رِسَالَةَ الرَّسُولِ وَجَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ، وَإِمَّا إِلَى الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ [الْبَقَرَة: 145] [3].

1 الثعلبي ، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج: 4 ص: 192. وفي سنده السدي الصغير، متهم بالكذب و محمد بن السائب، متهم بالكذب، ورمي بالرفض و مولي أم هانيء، ضعيف، مدلس . ينظر: حاشية التفسير .

2 الثعلبي ، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج: 4 ص: 192.

3 محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج: 2، ص: 39-40.

ثالثها : دلالة الكلام على عود الضمير على النبي صلى الله عليه وسلم قال البيضـــاوي : يَعْرِفُونَهُ الضمير لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه .

وقال أبو حيان الأندلسي : قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَغَيْرُهُ: وَاللَّفْظُ لِلزَّمَخْشَرِيِّ، وَجَازَ الْإِضْمَارُ، وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ ذِكْرٌ، لِأَنَّ الْكَلَامَ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَى السَّامِعِ، وَمِثْلُ هَذَا الْإِضْمَارِ فِيهِ تَفْخِيمٌ وَإِشْعَارٌ بِأَنَّهُ لشهرته وكونه علما معلوم بِغَيْرِ إِعْلَامٍ. انْتَهَى. وَأَقُولُ: لَيْسَ كَمَا قَالُوهُ مِنْ أَنَّهُ إِضْمَارٌ قَبْلَ الذِّكْرِ: بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ الِالْتِفَاتِ، لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى: قَدْ نَـــرى تَقَلُّـــبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ، ثُمَّ قَالَ: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ إِلَـــى آخَرِ الْآيَةِ، فَهَذِهِ كُلُّهَا ضَمَائِرُ خِطَابٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ الْتَفَتَ عَـــنْ ضَمِيرِ الْخِطَابِ إِلَى ضَمِيرِ الْغَيْبَةِ. وَحِكْمَةُ هَذَا الِالْتِفَاتِ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْإِقْبَـــالِ عَلَيْـــهِ بِالْخِطَابِ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَاخْتَرْنَاهُمْ لِتَحَمُّلِ الْعِلْمِ وَالْوَحْيِ، يَعْرِفُونَ هَذَا الَّذِي خَاطَبْنَاهُ فِي الْآيِ السَّابِقَةِ وَأَمَرْنَاهُ وَنَهَيْنَاهُ، لَا يَشُكُّونَ فِي مَعْرِفَتِهِ، وَلَـــا فِي صِدْقِ أَخْبَارِهِ، بِمَا كَلَّفْنَاهُ مِنَ التَّكَالِيفِ الَّتِي مِنْهَا نُسِخَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ بِالْكَعْبَةِ، لِمَا فِي كِتَابِهِمْ مِنْ ذِكْرِهِ وَنَعْتِهِ، وَالنَّصِّ عَلَيْهِ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ. فَقَـــدِ اتَّضَحَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْإِضْمَارِ قَبْلَ الذِّكْرِ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ الِالْتِفَاتِ، وَتَبَيَّنَتْ حِكْمَةُ الِالْتِفَاتِ .[1]

رابعها :اختيار جملة من أهل التفسير لهذا القول وتقديمه على غيره , قال السمين الحلبي : على النبي صلى الله عليه وسلم وبه بدأ الزمخشري، واختاره الزجاج وغيرُه .[2] ولم يذكر ابن كثير غيره [3].

1 أبي حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج: 2، ص: 32-33.

2 الحلبي، الدر المصون، مصدر سابق، ج: 2، ص: 169.

3 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 1، ص: 462.

وقال ابن عادل الحنبلي : وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن الكلام يدل عليه، ولا يلتبس على السامع، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته معلوم بغير إعلام.

قالوا: وهذا القول أولى من وجوه:

أحدها: أن الضمير إن ما يرجع إلى مذكور سابق، وأقرب المذكورات العلم في قوله: **{مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ العلم}** [البقرة: 145] .

والمراد من ذلك العلم: النبوة، فكأنه تعالى قال: إنهم يعرفون ذلك العلم كما يعرفون أبناءهم، وأما أمر القبلة فما تقدم ذكره البتة.

وثانيها: أن الله – تعالى – ما أخبر في القرآن أن أمر تحويل القِبْلة مذكور في التوراة والإنجيل، واخبر فيه ان نبوة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرف وكرم ومجد وبجل وعظم مذكورة في التوراة والإنجيل، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوّة أَوْلى.

وثالثها: أن المعجزات لا تدلّ أوّل دلالتها إلا على صدق محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرف وكرم ومجد وبجل وعظّم، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى .[1]

دليل القول الثاني : يمكن الاستدلال لهذا القول بما يأتي :

أولا :أن سياق الآيات في الكلام عن تحول القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة , قال سعيد حوى : وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ من اليهود والنصارى لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ أي ليعلمون أن التحويل أو التوجه إلى الكعبة هو الحق من الله عزّ وجل، وهذا يقتضي أن أهل الكتاب بشقيهم من يهود ونصارى يعلمون أن النبوة القادمة المبشر بها قبلتها كعبة إبراهيم، وهذا واضح لكل من تأمل موضوع البشارات بالنبوة القادمة في كتب العهد

1 ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، مصدر سابق، ج: 3، ص: 51.

القديم التي هي محل اعتماد اليهود والنصارى. إذ في هذه البشارات كما نقلنا نصوصها في كتابنا «الرسول» صلى الله عليه وسلم الفصل الخامس، كلام عن مكـــة، وإشـــارات إلى الكعبة بالذات .

وقال الشوكاني : وَقَوْلُهُ: الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ قِيلَ: الضَّمِيرُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ: يَعْرِفُونَ نُبُوَّتَهُ. رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَهْـــلِ الْعِلْـــمِ وَقِيلَ: يَعْرِفُونَ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ بِالطَّرِيقِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا، وَبِهِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَرَجَّحَ صَاحِبُ الْكَشَّافِ الْأَوَّلَ. وَعِنْدِي أَنَّ الرَّاجِحَ الآخـــر، يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ الَّذِي سِيقَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَاتُ . وقول الشوكاني " بالطريق الـــتي قـــدمنا ذكرها " هي قوله في تفسير الآية التي قبلها :

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ:" أَنَّهُ الْحَقُّ "رَاجِعٌ إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنَ التَّحَوُّلِ إِلَى جِهَةِ الْكَعْبَةِ، أَوْ لِكَوْنِهِمْ قَدْ عَلِمُوا مِنْ كُتُبِهِمْ أَوْ أَنْبِيَائِهِمْ أَنَّ النَّسْخَ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ فَيَكُـــونُ ذَلِكَ مُوجِبًا عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ وَمُتَابَعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا مما يدل على أن النسخ وتحويل الكعبة كان معلوما عند أهل الكتاب من قبل . قال أبو بكر جابر الجزائري : أنه الحق من ربهم: أي تحول القبلة جاء منصوصاً عليه في الكتب السابقة .[1]

وجاء في البداية والنهاية : الْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَنَسَخَ بِهِ اللَّـــهُ تَعَالَى حُكْمَ الصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، طَعَنَ طَاعِنُونَ مِنَ السُّفَهَاءِ وَالْجَهَلَـــةِ وَالْأَغْبِيَـــاءِ، وَقَالُوا: **{مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}** [البقرة: 142] . هَذَا وَالْكَفَرَةُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ، لِمَا يَجِدُونَهُ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِـــي

1 أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ط الخامسة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية 1424هـــ/2003م

كُتُبِهِمْ، مِنْ أَنَّ الْمَدِينَةَ مُهَاجَرُهُ، وَأَنَّهُ سَيُؤْمَرُ بِالِاسْتِقْبَالِ إِلَى الْكَعْبَةِ كَمَا قَالَ: **{وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}** [البقرة: 144] الْآيَةَ [الْبَقَرَةِ: 144] وَقَدْ أَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ هَذَا كُلِّهِ عَنْ سُؤَالِهِمْ وَتَعَنُّتِهِمْ، فَقَالَ: **{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [البقرة: 142] . أَيْ هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي خَلْقِهِ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ فِي شَرْعِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْحِكْمَةُ الَّتِي يَجِبُ لَهَا الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ.[1]

ومما يدل عليه ما روي في سبب نزول الآية : الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ يعنى اليهود منهم أَبُو ياسر بن أخطب، وكعب بن الأشرف «1» وكعب بن أسيد، وسلام بن صوريا، وكنانة بن أَبِي الحقيق، ووهب بن يهوذا. وأَبُو نَافِع،

فقالوا للنبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ تطوفون بالكعبة وإنما هِيَ حجارة مبنية. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: إنكم لتعلمون أن الطواف بالبيت حق «2» ، فَإِنَّهُ هُوَ القبلة مكتوب فِي التوراة والإنجيل، ولكنكم تكتمون ما في كتاب اللَّه من الحق وتجحدونه.

فَقَالَ ابْن صوريا: ما كتمنا شيئًا مما فِي كتابنا فأنزل اللَّه- عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَقُولُ أعطيناهم التوراة يَعْرِفُونَهُ أَي يعرفون البيت الحرام أَنَّهُ القبلة كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ يعني طائفة من هَؤُلاءِ الرؤوس لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ يعني أمر القبلة وَهُمْ يَعْلَمُونَ أن البيت هُوَ القبلة ثُمّ قَالَ- سُبْحَانَهُ-: الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يا محمد إن القبلة التي

1البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تح عبد الله بن عبد المحسن التركي ط الأولى دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 1418 هـ - 1997 م

ولينا كها هِيَ القبلة فَلا يعني لئلا تَكُونَنَّ يا محمد مِنَ الْمُمْتَرِينَ يعنى من الشاكين أن البيت الحرام هو القبلة.[1]

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.

سنحاول مناقشة القولين في هذين الفرعين:

الفرع الأول : مناقشة القول الأول

يمكن مناقشة هذا القول بما يأتي :

أولا عدم صحة الأثر المروي عن عمر الذي سأل فيه عبد الله بن سلام رضي الله عنهما.

ففي سند هذا الحديث من لا يحتج به : كالكلبي فقد قال عنه البخاري : مُحَمَّد بْن السائب أَبُو النضر الكلبي تركه يحيى بْن سَعِيد وابْن مهدي، وقَالَ لنا علي حَدَّثَنَا يحيى بْن سَعِيد عَنْ سُفْيان قَالَ قَالَ لي الكلبي قال لى أبو صالح كل شئ حدثتك فهو كذب، وروى مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ أَبِي النضر وهو الكلبي.[2]

كما قيل في محمد بن مروان : السدى: بضم السين وتشديد الدال: نسبة إلى سدة الجامع، وممن اشتهر بهذه النسبة أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور السدى الكوفى، وليس هذا صاحب التفسير، وصاحب التفسير، محمد بن مروان الكوفى وهو أيضًا يعرف بالسدى، يروى عن الكلبى، ويحيى بن عبيد الله، روى عنه هشام بن عبد الله، ومحمد بن

1 تفسير مقاتل بن سليمان ج 1 ص 148

2 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، لا.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، د.ت.ج1,ص101.

عبيد المحاربى، ويوسف بن عدى، وعن يحيى ليس بثقة. وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث لا يكتب حديثه ألبته قلت: محمد بن مروان هذا يقال له: السدى الصغير.[1]

وأبو صالح هو باذام بْن صَالِح صاحب الكلبي مولى لأم هانئ.

حَدَّثَنَا الجنيدي، حَدَّثَنا البُخارِيّ قال علي، حَدَّثَنا يَحْيَى بْن سفيان، قَال: قَال لي الكلبي قَال لي أَبُو صَالِح كل شيء حدثتك فهو كذب.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ يُونُس، حَدَّثَنا أبو بكر الأثرم، حَدَّثَنا أحمد بن حنبل، حَدَّثَنا يَحْيَى بن آدم، حَدَّثَنا مفضل بْن مغيرة كَانَ أَبُو صَالِح صاحب الكلبي يعلم الصبيان ويضعف تفسيره قَالَ كتبا أصابها قَالَ نعجب ممن يروي عَنْهُ.

قَالَ النَّسَائِيُّ بَاذَامُ أَبُو صَالِحٍ صَاحِبُ الْكَلْبِيِّ كُوفِيٌّ ضَعِيفٌ.

قَالَ الشَّيْخُ: وَبَاذَامُ هَذَا عَامَّةُ مَا يَرْوِيهِ تَفَاسِيرُ وَمَا أَقَلَّ مَا لَهُ مِنَ الْمُسْنَدِ، وَهو يَرْوِي عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ وروى عنه بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَن أَبِي صالح هذا تفسيرا كثيرًا قد جزؤُو في ذَلِكَ التَّفْسِيرِ مَا لَمْ يُتَابِعْهُ أَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَيْهِ وَلَمْ أَعْلَمْ أحدًا من المتقدمين رضيه.[2]

فظاهر أن سند الحديث واه جدا لا معول عليه .

ثانيا :إرجاع الضمير الغائب للنبي صلى الله عليه وسلم فيه فصل الكلام عن سياقه إذ السياق سباقا ولحاقا في الكلام حول القبلة قال الرازي : لَا تَعَلُّقَ لِهَذَا الْكَلَامِ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ أَمْرِ الْقِبْلَةِ .[3]

1 أبو محمد محمود بن أحمد العينى، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار،تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1427 هـ / 2006 م, ج: 3, ص: 416.

2 ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض ط الأولى الكتب العلمية - بيروت-لبنان 1418هـ1997م ج 2 ص 255-256-258.

3 الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج : 4 ص :111.

ثالثا :زعمهم أن دلالة الكلام على عود الضمير على النبي صلى الله عليه وسلم , بل الأمر كما قال الشوكاني:

يَعْرِفُونَهُ قِيلَ: الضَّمِيرُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ: يَعْرِفُونَ نُبُوَّتَهُ. رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقِيلَ: يَعْرِفُونَ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ بِالطَّرِيقِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا، وَبِهِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَرَجَّحَ صَاحِبُ الْكَشَّافِ الْأَوَّلَ. وَعِنْدِي أَنَّ الرَّاجِحَ الآخر، يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ الَّذِي سِيقَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَاتُ.

فالسياق يدل على أن الكلام حول القبلة .

رابعها : أما اختيار بعض المفسرين عود الضمير على النبي صلى الله عليه وسلم ,فبعضهم الآخر اختار القول الثاني كالشوكاني و لم يذكر الطبري غير عود الضمير عن التحول عن القبلة وأسند ذلك إلى الصحابة والتابعين .

مناقشة القول الثاني :

يمكن مناقشة هذا القول بما يأتي :

قال الرازي : وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ أَوْلَى مِنْ وُجُوهٍ. أَحَدُهَا: أَنَّ الضَّمِيرَ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى مَذْكُورٍ سَابِقٍ، وَأَقْرَبُ الْمَذْكُورَاتِ الْعِلْمُ فِي قَوْلِهِ: مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ [البقرة: 145] وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْعِلْمِ: النُّبُوَّةُ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ الْعِلْمَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَأَمَّا أَمْرُ الْقِبْلَةِ فَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ الْبَتَّةَ. وَثَانِيهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَخْبَرَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ أَمْرَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مَذْكُورٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَأَخْبَرَ فِيهِ أَنَّ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَذْكُورَةٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَكَانَ صَرْفُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ إِلَى أَمْرِ النُّبُوَّةِ أَوْلَى. وَثَالِثُهَا: أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ لَا تَدُلُّ أَوَّلَ دَلَالَتِهَا إِلَّا عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَّا

أَمْرُ الْقِبْلَةِ فَذَلِكَ إِنَّمَا يَثْبُتُ لِأَنَّهُ أَحَدُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ صَرْفُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ إِلَى أَمْرِ النُّبُوَّةِ أَوْلَى[1].

قال ابن عاشور : **{الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** (146)

جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَةِ: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ [الْبَقَرَة: 145] إِلَخْ، وَبَيْنَ جُمْلَةِ: لِكُلٍّ وِجْهَةٌ

[الْبَقَرَة: 148] إِلَخ اعْتِرَاضُ اسْتِطْرَادٍ بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ مَطَاعِنِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْقِبْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّ طَعْنَهُمْ كَانَ عَنْ مُكَابَرَةٍ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ الْقِبْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ حَقٌّ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ [الْبَقَرَة: 144] ، فَاسْتَطْرَدَ بِأَنَّ طَعْنَهُمْ فِي الْقِبْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَا هُوَ إِلَّا مِنْ مَجْمُوعِ طَعْنِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَفِي النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى الِاسْتِطْرَادِ قَوْلُهُ بَعْدَهُ: لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها [الْبَقَرَة: 148] ، فَقَدْ عَادَ الْكَلَامُ إِلَى اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ.

فَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ فِي يَعْرِفُونَهُ لَا يَعُودُ إِلَى تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَصَارَتِ الْجُمْلَةُ تَكْرِيرًا لِمَضْمُونِ قَوْلِهِ: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، بَلْ هُوَ عَائِدٌ إِمَّا إِلَى الرَّسُولِ وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْ ذِكْرٌ لِمُعَادٍ مُنَاسِبٍ لِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ، لَكِنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ وَتَكَرَّرَ خِطَابُهُ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ: وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها [الْبَقَرَة: 143] ، وَقَوْلِهِ: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ [الْبَقَرَة: 144] ، وَقَوْلِهِ: فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً [الْبَقَرَة: 144] ، وَقَوْلِهِ: فَوَلِّ وَجْهَكَ [الْبَقَرَة: 144] فَالْإِتْيَانُ بِالضَّمِيرِ بِطَرِيقِ الْغَيْبَةِ مِنَ الِالْتِفَاتِ، وَهُوَ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ أَيْ يَعْرِفُونَ صِدْقَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى الْحَقِّ فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ:

1 الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج : 4، ص112

لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ فَيَشْمَلُ رِسَالَةَ الرَّسُولِ وَجَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ، وَإِمَّا إِلَى الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ [الْبَقَرَة: 145] .

المطلب الرابع: سبب الخلاف.

بعد النظر في كتب التفاسير حول رجوع ضمير المفرد الغائب يتبين أن السبب الذي جعل المفسرين يختلفون في مرجعه, هو اختلاف النظر فلاحظ فريق السياق الذي جاء فيه فحكموا برجوعه على تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة , بينما نظر الفريق الآخر إلى ماجاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب فقالوا برجوع الضمير عليه صلى الله عليه وسلم.

المطلب الخامس: الترجيح.

من خلال الدراسة في الفروع السابقة نستنتج أن القول الأولى –والله أعلم- هو القول الثاني وهو أن عود الضمير الغائب في قوله تعالى " يعرفونه" على تحول القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ذلك أن السياق يدل عليه سباقا ولحاقا .

فقد جاء في تفسير الآية قبلها : وَقَدْ فُسِّرَ الْعِلْمُ هُنَا بِالْحَقِّ، يَعْنِي أَنَّ مَا جَاءَهُ مِنْ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ هُوَ الْحَقُّ [1].

والآية بعدها (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الِامْتِرَاءُ: الشَّكُّ وَالتَّرَدُّدُ، وَإِنَّمَا يَعْرِضُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ أَيُّهَا الرَّسُولُ هُوَ الْحَقُّ، أَوْ أَنَّ جِنْسَ الْحَقِّ فِي الدِّينِ هُوَ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ الْمُعْتَنِي بِشَأْنِكَ، فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى أَوْهَامِ هَؤُلَاءِ الْجَاحِدِينَ فَإِنَّهَا لَا تَصْلُحُ شُبْهَةً عَلَى الْحَقِّ الصَّرِيحِ الَّذِي عَلَّمَكَ اللهُ فَتَمْتَرِيَ بِهِ، وَالنَّهْيُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَالْوَعِيدِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَجَّهَ الْخِطَابَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ

1 أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج: 2، ص:30.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَالْمُرَادُ أَمَّتُهُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ غَيْرَ رَاسِخٍ فِي الْإِيمَانِ، وَخُشِيَ عَلَيْهِ الِاغْتِرَارُ بِمَظَاهِرِ أُولَئِكَ الْمُخَادِعِينَ الَّذِينَ يَغْتَرُّ بِأَمْثَالِهِمُ الْأَغْرَارُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ; وَلِذَلِكَ ارْتَدَّ بِفِتْنَةِ الْقِبْلَةِ بَعْضُ ضُعَفَاءِ الْإِيمَانِ .[1]

والسياق هو ما كان سابقا للجملة المفسرة أو لاحقا , وبه يتبين المعنى المراد , كما به يتبين المعنى الصحيح حال اختلاف الأقوال [2].

والقاعدة الترجيحية تقول إدخال الكلام في معاني ما قبله ومابعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له .[3]

يقول حسين الحربي : إذا تنازع المفسرون في تفسير آية أو جملة من كتاب الله , فمنهم من يحملها على معنى لا يخرجها عن سياق الآيات , ومنهم من يحملها على معنى يخرجها عن معاني الآيات قبلها وبعدها , ويجعلها معترضة في السياق . فحمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وبعدها أولى و أحسن ؛ لأنه أوفق للنظم وأليق بالسياق ما لم يرد دليل يمنع من هذا التفسير أو يصحح غيره .

ومن هنا يتبين أن القول الثاني أولى أن يفسر به الضمير الغائب والله أعلم .

1 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مصدر سابق، ج: 2، ص: 18.

2 مساعد بن سليمان الطيار، التحرير في أصول التفسير، مصدر سابق، ص: 315

3 حسين بن علي بن حسين الحربي، دراسة نظرية تطبيقية، قواعد الترجيح عند المفسرين، ط: 1، دار القاسم، الرياض، 1417 ه-1996م.

المبحث الرابع : تفسير الآية الخمسين بعد المئة تفسيرا مقارنا.

المطلب الأول : الأقوال وأصحابها.

المطلب الثاني : أدلة الأقوال.

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.

المطلب الرابع: سبب الخلاف.

المطلب الخامس: الترجيح.

المبحث الرابع : تفسير الآية الخمسين بعد المئة تفسيرا مقارنا

الآية : **{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }**البقرة (150) .

وقع الخلاف بين أهل التأويل في معنى "إلا" هل هي بمعنى الاستثناء ؟ أو بمعنى واو الموالات؟

على قولين :

وقبل الدخول في المقصود ينبغي ذكر تفسير ما قبلها إذ هي به مرتبطة ارتباطا وثيقا وهي قوله تعالى : **{وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}** .

فيها قولان لأهل التأويل في تأويلها أصحهما وهو الذي سنبني عليه إن شاء الله :

معنى الآية **{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ}** يعني: لأهل الكتاب **{عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ}** وكانت حجتهم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في صلاتهم نحو بيت المقدس أنهم كانوا يقولون: ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن. وقولهم: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا. فهذِه الحجة التي كانوا يحتجون بها على المؤمنين على وجه الخصومة منهم والتمويه بها على الجهال من المشركين. ثم قال **{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}** وهم مشركو مكة، وحجتهم أنهم قالوا لما صُرفت القبلة إلى الكعبة: إن محمدًا قد تحير في دينه فتوجه إلى قبلتنا وعلم أنَا أهدى سبيلًا منه، وأنه لا يستغني عنَّا، ويوشك أن يرجع إلى ديننا

كما رجع إلى قبلتنا. وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والربيع والسدي واختيار محمد ابن جرير الطبري .[1]

قال أبو جعفر: فقال جماعة من أهل التأويل: عنى الله تعالى ب:"الناس" في قوله: "لئلا يكون للناس"، أهلَ الكتاب .

وأما قوله : "**إلا الذين ظَلموا منهم**", فإنهم مُشركو العرب من قريش، فيما تأوَّله أهلُ التأويل.[2] ولنرجع إلى المقصود وذكر الاختلاف في معنى "إلا" في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول : الأقوال وأصحابها.

في هذين الفرعين نذكر الأقوال وأصحابها

الفرع الأول : أنَ "إلا" بمعنى : واو الموالاة

أصحاب هذا القول :أبو عبيدة معمر بن المثنى [3].

الفرع الثاني : أنَ "إلا" بمعنى :الاستثناء المعروف

رُوِيَ عن ابن عباس وابن مسعود وعَنْ مُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ وَقَتَادَةَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وأبي العالية والسدي وهو اختيار الطبري[4] .

وقال الطبري : ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل .[5]

---

1 الثعلبي، الكشف والبيان، مصدر سابق، ج: 4، ص: 198.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق ج : 3 ص199-200.

3 أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج : 1 ص: 60.

4 ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج :1 ص: 259، وينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، المصدر السابق، ج : 3، ص: 200-201.

5 المصدر نفسه، ص204.

المطلب الثاني : أدلة الأقوال.

سنعرض في هذا المطلب ادلة كل قول

الفرع الأول : أدلة القول الأول

واحتُجَّ على هذا المذهب بأبيات منها :

وكل أخٍ مفارقُهُ أخوه ... لَعَمْرُ أبيك إلا الفرقدان

أراد: والفرقدان أيضًا يفترقان

وما أنشده الأخفش:

وأرى لها دارًا بأغْدِرَةِ السِّيــ ... ــدَانِ لم يَدْرُس لها رَسْمُ

إلّا رَمَادًا خامدًا دَفَعَتْ ... عنهُ الرِّياحَ خَوَالِد سُحْمُ

أراد: أرى دارًا ورمادًا [1].

وقال الواحدي : ومن الناس من صوّب أبا عبيدة في مذهبه، وصحح قوله بما احتج به من الشعر.[2]

إجماع أهل الحجة من أهل التأويل , قال الطبري : ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل .[3]

1 الواحدي، البسيط، مصدر سابق، ج: 3، ص: 412-413.

2 المصدر نفسه، ج: 3، ص: 414.

3 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3، ص: 204.

سبب النزول المروي عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .

قال الطبري : حدثني موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي فيما يذكر، عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس – وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: لما صُرف نبيّ الله صلى الله عليه وسلم نحوَ الكعبة، بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحيّر على محمد دينه! فتوجّه بقبلته إليكم، وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلا ويُوشك أن يدخل في دينكم! فأنزل الله جل ثناؤه فيهم: **{لئلا يَكونَ للناس عليكم حجةٌ إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني}**.[1]

وأيضا قراءة جمهور القراء تقضي بأن "إلا" للاستثناء .

قال أبو حيان : إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ، قَرَأَ الْجُمْهُورُ: إِلَّا جَعَلُوهَا أَدَاةَ اسْتِثْنَاءٍ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ زَيْدٍ : أَلَا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَخْفِيفِ لَامِ أَلَّا، إِذْ جَعَلُوهَا الَّتِي لِلتَّنْبِيهِ وَالِاسْتِفْتَاحِ.

وَأَمّا على قراءة الْجمهور، فالاسْتِثْنَاءُ مُتّصِل، قَاله ابْن عَبّاس وغيره، واختاره الطّبريّ، وَبَدَأَ بِهِ ابْنُ عَطِيّة، و لم يَذكر الزّمخشَريّ غَيرَه، وَذلكَ أَنّهُ متى أَمكَن الِاسْتِثْنَاءُ الْمُتّصِل إِمْكَانًا حَسَنًا، كَانَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ[2].

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3، ص: 203.

2 أبو حيان، البحر المحيط، ج: 2، مصدر سابق، ص: 41-42.

وقال السمين الحلبي : فأما قراءة الجمهور فاختلف النحويون/ في تأويلها على أربعةِ أقوال أظهرُها: – وهو اختيارُ الطبري، وبدأ به ابن عطية، ولم يذكر الزمخشري غيرَه – أنه استثناء متصلٌ [1].

المطلب الثالث : مناقشة الأقوال

سنحاول مناقشة هذين القولين في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول : مناقشة القول الأول

تفسير "إلا" بمعنى الواو خطأ في العربية إلا أن يكون استثناء بعد استثناء .

قال الفراء : وقد قال بعض النحويين — يعني أبا عبيدة – : إلا فى هذا الموضع بمنزلة الواو كأنه قال: {**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ**} ولا للذين ظلموا. فهذا صواب فِي التفسير، خطأ فِي العربية إنما تكون إلا بمنزلة الواو إذا عطفتها على استثناء قبلها، فهنالك تصير بمنزلة الواو كقولك: لي على فلان ألف إلا عشرة إلا مائة، تريد: (إلّا) الثانية أن ترجع على الألف، كأنك أغفلت المائة فاستدركتها فقلت: اللهمّ إلا مائة. فالمعنى له على ألف ومائة، وأن تقول: ذهب الناس إلا أخاك، اللهم إلا أباك، فتستثني الثاني، تريد: إلا أباك وإلا أخاك كما قال الشاعر:

ما بالمدينة دار غير واحدةٍ ... دار الخليفة إلا دار مروانا

كأنه أراد: ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة ودار مروان .[2]

1 السمين الحلبي، الدر المصون، مصدر سابق، ج: 2، ص 178.

2 أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء, معاني القرآن, تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ط: 1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ج: 1، ص: 90.

وقال الطبري : – بعد أن ذكر من قال بأن الذين ظلموا هم مشركوا قريش – فقد أبان تأويلُ من ذكرنا تأويلَه من أهل التأويل قوله : "إلا الذين ظلموا منهم"، عن صحّة ما قلنا في تأويله، وأنه استثناءٌ على مَعنى الاستثناء المعروف، الذي ثبتَ فيهم لما بعدَ حرف الاستثناء ما كان منفيًّا عما قبله . كما قولُ القائل "ما سَارَ من الناس أحدٌ إلا أخوك"، إثباتٌ للأخ من السير ما هو مَنفيٌّ عن كل أحد من الناس . فكذلك قوله : "لئلا يكونَ للناس عليكم حُجة إلا الذين ظلموا منهم"، نَفى عن أن يكون لأحد خُصومةٌ وجدلٌ قِبَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى باطلٍ عليه وعَلى أصحابه، بسبب توجُّههم في صلاتهم قبل الكعبة – إلا الذين ظلموا أنفسهم من قريش، فإن لهم قبلهم خصومةً ودعوى باطلا بأن يقولوا: إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا، لأنا كنا أهدى منكم سبيلا وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل.

وإذ كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل، فبيِّنٌ خطأُ قول من زعم أن معنى قوله: "إلا الذين ظلموا منهم" : ولا الذين ظلموا منهم، وأن "إلا" بمعنى "الواو" . لأن ذلك لو كان معناه، لكان النفيُ الأول عن جميع الناس – أنْ يكون لهم حُجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في تحوُّلهم نحو الكعبة بوجوههم – مبيِّنًا عن المعنى المراد، ولم يكن في ذكر قوله بعد ذلك : {**إلا الذين ظَلموا منهم**} إلا التلبيس الذي يتعالى عن أن يُضافَ إليه أو يوصف به .

هذا مع خروج معنى الكلام إذا وجّهت "وإلا" إلى معنى "الواو"، ومعنى العطف من كلام العرب. وذلك أنه غيرُ موجودة "إلا" في شيء من كلامها بمعنى "الواو"، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها. كقول القائل : "سار القوم إلا عمرًا إلا أخاك"، بمعنى: إلا عمرًا وأخاك، فتكون "إلا" حينئذ مؤدّية عما تؤدي عنه "الواو"، لتعلق "إلا" الثانية ب : "إلا" الأولى . ويجمع فيها أيضًا بين "إلا" و"الواو" فيقال : "سار القوم إلا عمرًا وإلا أخاك"، فتحذف

إحداهما، فتنوب الأخرى عنها، فيقال: "سار القوم إلا عمرًا وأخاك أو إلا عمرًا إلا أخاك"، لما وصفنا قبل .

وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لمدَّعٍ من الناس أن يدَّعي أنّ "إلا" في هذا الموضع بمعنى "الواو" التي تأتي بمعنى العطف[1].

وقال الرازي موجها دعوى أبي عبيدة : زَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ (إِلَّا) بِمَعْنَى الْوَاوِ كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ وَلِلَّذِينِ ظَلَمُوا وَأَنْشَدَ:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

يَعْنِي: وَالْفَرْقَدَانِ.

قَالَ قُطْرُبٌ: مَوْضِعُ الَّذِينَ خَفْضٌ لِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْكَافِ وَالْمِيمِ فِي عَلَيْكُمْ كَأَنَّهُ قِيلَ: لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَإِنَّهُ يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ وَهُمُ الْكُفَّارُ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: هَذَانِ الْوَجْهَانِ بَعِيدَانِ[2].

وقال أبو حيان : وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدٍ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى أَنَّ إِلَّا فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى الْوَاوِ، وَجَعَلَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَهُ:

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ ... دَارُ الْخَلِيفَةِ إِلَّا دَارَ مَرْوَانَا

وَقَوْلُهُ:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

التَّقْدِيرُ: عِنْدَهُ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا، وَدَارُ مَرْوَانَ وَالْفَرْقَدَانِ .

1 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3 ص: 204-205.

2 الرازي، مفاتح الغيب، مصدر سابق، ج: 4، ص: 121.

وَإِثْبَاتُ إِلَّا بِمَعْنَى الْوَاوِ، لَا يَقُومُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، وَالِاسْتِثْنَاءُ سَائِغٌ فِيمَا ادَّعَى فِيهِ أَنَّ إِلَّا بِمَعْنَى الْوَاوِ، وَكَانَ أبو عبيدة يضعف في النَّحْوِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هَذَا خَطَأٌ عِنْدَ حُذَّاقِ النَّحْوِيِّينَ، وَأَضْعَفُ مِنْ هَذَا زَعْمُ مَنْ زَعَمُ أَنَّ إِلَّا بِمَعْنَى بَعْدَ، أَيْ بَعْدَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَجَعَلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، أَيْ بَعْدَ مَا قَدْ سلف، وإِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى ، أَيْ بَعْدَ الْمَوْتَةِ الْأُولَى، وَلَوْلَا أَنَّ بَعْضَ الْمُفَسِّرِينَ ذَكَرَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ، مَا ذَكَرْتُهُمَا لِضَعْفِهِمَا .[1]

وقال السمين الحلبي : قولُ أبي عبيدة – أن "إلّا" بمعنى الواو العاطفةِ، وجَعَلَ من ذلك قولَه:

- وكلُّ أخٍ مُفَارِقُه أَخوه ... لَعَمْرُ أبيك إلا الفَرْقَدان

وقولِ الآخر:

- ما بالمدينةِ دارٌ غيرُ واحدةٍ ... دارُ الخليفةِ إلا دارُ مروانا

تقديرُ ذلك عنده: «ولا الذين ظلموا - والفرقدان - ودار مروان» وقد خَطَّأه النحاةُ في ذلك كالزجاج وغيره .[2]

مناقشة القول الثاني :

لم نجد من المفسرين –في حد ما اطلعنا عليه – من ناقش هذا القول أو تعرض له بالنقد إلا قولا لابن عطية في تفسيره ونقله عنه القرطبي . قال ابن عطية : وقيل: المراد بالناس اليهود ثم استثنى كفار العرب.

وقوله : "مِنْهُمْ" يرد هذا التأويل .[3]

---

1 أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج: 2، ص: 43.

2 السمين الحلبي، الدر المصون، ج: 2، ص: 178-179.

3 ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج: 1، ص: 225. وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج: 2، ص: 169.

المطلب الرابع: سبب الخلاف.

ذكر بعض المفسرين السبب الذي جعل المفسرين يختلفون في تأويل معنى إلا على معان مختلفة وهو أنَ : مَثَارُ الْخِلَافِ هُوَ: هَلِ الْحُجَّةُ هُوَ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ الصَّحِيحُ؟ أَوِ الْحُجَّةُ هُوَ الِاحْتِجَاجُ وَالْخُصُومَةُ؟ [1]

ولهذا نجد الطبري قد أوضح السبيل في معنى الحجة وأزال اللبس فقال : فإن قال قائل: وأيّةُ حجة كانت لمشركي قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، في توجههم في صلاتهم إلى الكعبة؟ وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين –فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه– حُجة ؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما توهمتَ وذهبتَ إليه. وإنما "الحجة" في هذا الموضع، الخصومة والجدال. ومعنى الكلام: لئلا يكون لأحد من الناس عليكم خُصُومةٌ ودعوى باطلٌ غيرَ مشركي قريش، فإن لهم عليكم دعوى بَاطلا وخصومةً بغير حق، بقيلهم لكم :"رَجَع محمدٌ إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا". فذلك من قولهم وأمانيّهم الباطلة، هي "الحجة" التي كانت لقريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره "الذين ظلموا" من قريش من سائر الناس غيرهم ، إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجّههم إليها حُجة .[2]

وذكر ابن عاشور أيضا فائدة نفيسة ينبغي أن تذكر في هذا المقام وهي قوله : وَالْحُجَّةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا يُقْصَدُ بِهِ إِثْبَاتُ الْمُخَالِفِ، بِحَيْثُ لَا يَجِدُ مِنْهُ تَفَصِّيًا، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلَّذِي غَلَبَ مُخَالِفَهُ بِحُجَّتِهِ قَدْ حَجَّهُ، وَأَمَّا الِاحْتِجَاجُ فَهُوَ إِتْيَانُ الْمُحْتَجِّ بِمَا يَظُنُّهُ حُجَّةً وَلَوْ

1 أبو حيان، البحر المحيط، ج: 2، ص: 42، وينظر: ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ج: 3، ص: 68 وينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، مصدر سابق، ج: 2، ص: 178.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج: 3، ص: 201 –202.

مغالطة يُقَال احْتَجَّ وَيُقَال حَاجَّ إِذَا أَتَى بِمَا يَظُنُّهُ حُجَّةً قَالَ تَعَالَى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ [الْبَقَرَة: 258] ، فَالْحُجَّةُ لَا تُطْلَقُ حَقِيقَةً إِلَّا عَلَى الْبُرْهَانِ وَالدَّلِيلِ النَّاهِضِ الْمُبَكِّتِ لِلْمُخَالِفِ، وَأَمَّا إِطْلَاقُهَا عَلَى الشُّبْهَةِ فَمَجَازٌ لِأَنَّهَا تُورَدُ فِي صُورَةِ الْحُجَّةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ [الشورى: 16] ، وَهَذَا هُوَ فِقْهُ اللُّغَةِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ «الْكَشَّافُ» ، وَأَمَّا مَا خَالَفَهُ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ اللُّغَةِ فَهُوَ مِنْ تَخْلِيطِ الْإِطْلَاقِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا التَّفَصِّيَ مِنْ وُرُودِ الِاسْتِثْنَاءِ وَأَشْكَلَ عَلَيْهِمُ الِاسْتِثْنَاءُ لِأَنَّ الْمُسْتَثْنَى مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِنَقِيضِ حُكْمِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ عِنْدَ قَاطِبَةِ أَهْلِ اللِّسَانِ وَالْعُلَمَاءِ، إِلَّا خِلَافًا لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ، فَصَارَ هَذَا الِاسْتِثْنَاءُ مُقْتَضِيًا أَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا لَهُمْ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ، فَأَجَابَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» بِأَنَّهُ إِنَّمَا أَطْلَقَ عَلَيْهِ حُجَّةً لِمُشَابَهَتِهِ لِلْحُجَّةِ فِي سِيَاقِهِمْ إِيَّاهُ مَسَاقَ الْبُرْهَانِ أَيْ فَاسْتِثْنَاءُ الَّذِينَ ظَلَمُوا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِحُجَّةٍ أَيْ بِمَا يُشْبِهُ الْحُجَّةَ، فَحَرْفُ إِلَّا يَقْتَضِي تَقْدِيرَ لَفْظِ حُجَّةٍ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَاهُ الْمَجَازِيِّ، وَإِطْلَاقُ اللَّفْظِ فِي مَعْنَيَيْهِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ لَيْسَ ببدع لاسيما مَعَ الْإِتْيَانِ بِلَفْظٍ يُخَالِفُ الْأَوَّلَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُجْعَلُ الِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعًا بِمَعْنَى لَكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا يَشْغَبُونَ عَلَيْكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ.[1]

المطلب الخامس: الترجيح.

بعد الدراسة السابقة لأقوال المفسرين في معنى " إلا" يتبين أن القول الراجح هو القول الثاني وذلك للآتي ذكره :

بعد أن حكى الطبري أقوال السلف في تفسير قوله تعالى : "إلا الذين ظلموا" قال : : ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل .[2]

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج: 2، ص: 46 -47.

2 ابن جرير الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج : 3 ص: 204.

والقواعد الترجيحية :تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ , تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[1] تقضي بما قلنا به من ترجيح الذي رجحنا للذي ذكرنا والله الموفق .

1 حسين الحربي، قواعد الترجيح، مصدر سابق، ص: 271-288.

الخاتمة

وفي ختام هذه الرسالة من خلال دراستنا للتفسير المقارن نظريا وتطبيقيا نخلص إلى النتائج التالية:

1-يعتبر تفسير الطبري من أكثر التفاسير التي مارست التفسير المقارن.

2-التفسير المقارن قديم التطبيق وحديث التنظير والتأليف المستقل.

3-مظان التفسير المقارن: تفسير الطبري والرازي وأبي حيان والمنار والتحرير.

4-التفسير المقارن يحتاج إلى المعرفة التامة للعلوم الشرعية الأخرى المختلفة.

5-تعتمد كثير من كتب التفسير على كتب تفسير أخرى في نقل الأقوال ونقدها وربما الترجيح بينها كالدر المصون مأخذه من أبي حيان.

6-يهتم التفسير المقارن بنوعين من الخلاف وهما خلاف التنوع وخلاف التضاد.

7-مجال التفسير المقارن هي الآيات المختلف فيها اختلافا حقيقيا معتبرا.

8-يمكن اعتبار التفسير المقارن -لحد الآن- لم يكتمل بعد, ولايزال يحتاج إلى دراسات أكاديمية جادة .

9-كلما زاد اطلاع الباحث على أقوال المفسرين المختلفة في تفسير الآيات القرآنية ومناقشتهم لبعض الأقوال, كلما سهل على الباحث على الوقوف على منشإ الخلاف ومن ثم الوصول إلى القول الصحيح .

التوصيات.

وبعد ممارستنا للتفسير المقارن واطلاعنا على بعض كتب التفسير يمكننا أن نوصي المقبلين على خوض غمار التفسير المقارن ببعض الوصايا والتي من أهمها:

1-أحث اخواني الطلبة –خاصة المميزين منهم- على أن يتجهوا لخدمة هذا اللون الجديد من ألوان التفسير وأن يعدّوا له عدّته من المادة العلمية من العلوم الشرعية كاللغة وعلـــوم القرآن وأصول التفسير.

2-على الباحثين في مجال التفسير المقارن أن يميزوا أولا في مواضع الخلاف بين المفسرين، فإذا كانت الآية محلّ النزاع تتناول جانبا:

-عقديا: فعليه بالتفاسير التي تعنى بالجانب العقدي كتفسير مفاتح الغيب للرازي ودقـــائق التفسير لابن تيمية وتفسير ابن رجب وغيرها.

-فقهيا: فعليه بالتفاسير التي تعنى بالجانب الفقهي كتفسير جامع أحكام القرآن للقرطبي أو تفسير أحكام القرآن لابن العربي وغيرها.

-نحويا: فعليه بالتفاسير التي تعنى بالجانب النحوي كتفسير البحر المحيط لأبي حيان وتفسير الدرّ المصون للسمين الحلبي وغيرها.

-بلاغيا: فعليه بالتفاسير التي تعنى بالجانب البلاغي كتفسير الكشّاف للزمخشري والتحرير والتنوير لابن عاشور وغيرها.

-اجتماعيا: فعليه بالتفاسير التي تعنى بالجانب الاجتماعي كتفسير المنار لمحمد رشيد رضـــا وتفسير الأساس لسعيد حوّى وغيرها.

وفي الأخير نحمد الله عز وجل على أن أتم علينا هاته النعمة ونقول وبالله التوفيق ما كـــان منّا من خطأ فمن أنفسنا والشيطان وما كان منّا من صواب فمن الله وحده وصـــلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الفهارس العامة.

1-فهرس الآيات القرآنية.

2-فهرس الأحاديث النبوية.

3-فهرس الأعلام المترجم لهم.

5-قائمة المصادر والمراجع.

6-فهرس الموضوعات.

1-فهرس الآيات القرآنية.

الآية أو شطرها	السورة	الصفحة
{وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ..} (22)	البقرة	20
{وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..} (99)	التوبة	22
{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ ..} (142).	البقرة	28
{الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما ..} (146)	البقرة	71
{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ .. }البقرة (150)	البقرة	76
إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ..} (158).	البقرة	30
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ..} (102).	آل عمران	أ
{وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ..} (154)	آل عمران	56
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ..} (01)	النساء	أ
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} (70-71).	الأحزاب	أ

2-فهرس الأحاديث النبوية.

طرف الحديث	الصفحة
«مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كَفَتَاهُ»	16
«إِنَّهَا سَنَامُ الْقُرْآنِ»	16
«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإنّ البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشّيطان»	17
«اقرأوا الزّهراوين: البقرة وآل عمران، فإنّهما يأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صوافّ، اقرءوا البقرة، فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»	18-17
«كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ صلَّى نحوَ بيت المقدِس سِتَّةَ عَشرَ.... »	27-26
«سألتُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها، فقلتُ لها: أَرأيتِ قَوْلَ اللهِ تعالى: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ»	28-27
«يقول الله جل ثناؤه: مَرضْتُ فلم يَعدني عَبدي، واستقرضته فلم يقرضني، وشتمني و لم يَنبغِ له أن يُشتمني».	52-51

3-فهرس الأعلام المترجم لهم.

اسم العلم	الصفحة
أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن عليّ بن القاسم الشّهرزوريّ	32
خصيف بن عبد الرحمن الخضرمي الإمام الفقيه، أبو عون الخضرمي	33

4-قائمة المصادر والمراجع.

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، لا.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد، لا.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

3. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ط: 4، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص- سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، 1415 ه.

4. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 ه.

5. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ط الخامسة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية 1424ه/2003م.

6. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن حيان، تح: صدقي محمد جميل، لا.ط، دار الفكر – بيروت 1420 ه.

7. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774ه) تح عبد الله بن عبد المحسن التركي ط الأولى دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 1418 ه - 1997 م.

8. التاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، لا.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، د.ت.

9. تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن قتيبة، تح: إبراهيم شمس الدين، لا.ط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

10. التحرير في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، ط: 4، جدة, مركز الدراسات والمعلومات القرآنية 1439.

11. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، لا.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج: 1.

12. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن حيان، تح: سمير المجذوب، ط: 1، المكتب الإسلامي، لا.م، 1403 ه / 1983 م.

13. التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تح : أصل تحقيقه في رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط: 1 عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430 ه.

14. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط:1 دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، 1423 ه.

15. تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا القلموني، لا.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

16. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تح : سامي بن محمد السلامة، ط: 2، لا.م، دار طيبة، 1420 ه/ 1999 م.

17. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، ط:3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419ه، .

18. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تح : أسعد محمد الطيب، ط: 3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية 1419 ه .

19. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد المروزى، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: 1، الرياض، دار الوطن، 1418ه/ 1997م.

20. التفسير المقارن دراسة نظرية وتطبيقية على سورة الفاتحة، روضة عبد الكريم فرعون، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، 2011م 1432ه.

21. التفسير المقارن، محمود عقيل العاني، دراسة تأصيلية تطبيقية، رسالة دكتوراه في فلسفة أصول الدين، تخصص (تفسير)، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، 1434ه-2013م.

22. التفسير المقارن، مصطفى المشني، دراسة تأصيلية، مجلة الشريعة والقانون، العدد 26، ربيع الأول 1427ه-أبريل 2006م.

23. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاته، ط: 1، دار إحياء التراث، بيروت، 1423 ه، .

24. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط:1، مؤسسة الرسالة، 1420ه /2000م.

25. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، لا. ط، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

26. الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، تح: مصطفى ديب البغا, ط: 5، دار بن كثير ودار اليمامة، 1414 ه / 1993 م .

27. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: 2، 1384ه /1964 م، دار الكتب المصرية، القاهرة.

28. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تح: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، ط: 2، دار العروبة، الكويت، 1407 - 1987.

29. جواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تح : محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود، ط: 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 ه.

30. حجة القراءات، أبو زرعة ابن زنجلة، تح: سعيد الأفغاني، لا.ط، دار الرسالة، لا.م، د.ت.

31. در المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس أحمد بن يوسف الحلبي، تح: أحمد محمد الخراط، لا.ط، دار القلم، دمشق.

32. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، تح : علي عبد الباري عطية، ط : دار الكتب العلمية، بيروت الأولى، 1415ه.

33. زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422ه .

34. زاد المسير في علم التفسير, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي, تح : عبد الرزاق المهدي ط: 1دار الكتاب العربي - بيروت, 1422 ه .

35. سير أعلام النبلاء، أبو العباس محمد بن أحمد الذهبي، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: 3، مؤسسة الرسالة، لا.م، 1405ه/1985م، .

36. شرح مقاصد السور القرآنية، محمد الخضيري، (https://vb.tafsir.net/forum).

37. صحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: 4، دار العلم للملايين – بيروت، 1407ه - 1987م.

38. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1374 ه/ 1955م.

39. فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، ط: 4، لا.م دار ابن الجوزي 1433ه.

40. قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، دراسة نظرية تطبيقية، ط: 1، دار القاسم، الرياض، 1417 ه-1996م.

41. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض ط الأولى الكتب العلمية - بيروت-لبنان 1418ه1997م .

42. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، لا.ط، دار الكتاب العربي، بيروت.

43. الكشف عن وجوه القراءات السبع، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ط: 1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1394 ه / 1974 م.

44. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تح : عدد من الباحثين (ومن أراد الاطلاع على هؤلاء المحققين :ينظر المقدمة ص :15 من هذا الكتاب).

45. لباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط: 1، 1419 ه/ 1998م، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

46. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، ط : 3، دار صادر، بيروت، 1414 ه.

47. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تح : محمد فواد سزگين، لا.ط، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1381 ه، .

48. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تح : محمد باسل عيون السود، ط:1 دار الكتب العلميه - بيروت 1418 ه.

49. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422ه، ج: 1، ص: 81.

50. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط: 1، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، 1414ه، دمشق، بيروت.

51. مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، ط: 1، دار ابن القيم، دار ابن عفان، 1426ه/ 2005م.

52. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا , ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت 1411ه / 1990.

53. مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: حاتم صالح الضامن، ط:2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405ه.

54. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي، ط: 1، مكتبة المعارف، الرياض، 1408ه/ 1987م، ج: 2، ص: 6.

55. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي, تح : محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ط : 4, دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1417ه/1997 م.

56. معاني القرآن, أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء, تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ط: 1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

57. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، لا.ط، دار الفكر، لا.م، 1399ه - 1979م.

58. مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، أبو محمد محمود بن أحمد العيني، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1427 ه / 2006 م.

59. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، ط: 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 ه.

60. مفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تح : محمد عبد العزيز بسيوني، لا. ط، كلية الآداب - جامعة طنطا، 1420 ه - 1999م.

61. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان الطيار، ط: 2، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1427ه.

62. مقاصد السور أو أغراضها، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، أغراض السور، لا.ط، لا.م، د.ت.

63. مقدمة في أصول التفسير، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، لا.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان 1490ه/1980م.2018م.

64. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، لا.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

65. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تح : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، لا.ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

66. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، ط: 1، 1415 ه / 1994 م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

67. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تح: إحسان عباس, لا.ط, دار صادر – بيروت1900م.

5-فهرس الموضوعات.

الموضوع	الصفحة
البسملة.	
شكر وعرفان.	
ملخص البحث.	
المقدمة	أ-ج
مبحث تمهيدي: مفهوم التفسير المقارن والتعريف بسورة البقرة.	10
المطلب الأول: مفهوم التفسير المقارن ونشأته وجهود العلماء فيه	10
المطلب الثاني: التعريف بسورة البقرة.	16
المبحث الأول: تفسير الآية الخامسة والثلاثون بعد المئة من سورة البقرة	32
المطلب الأول: الأقوال وأصحابها.	32
المطلب الثاني: أدلة الأقوال.	34
المطلب الثالث: مناقشة الأقوال.	36
المطلب الرابع: سبب الخلاف.	37
المطلب الخامس: بيان الراجح من الأقوال.	39
المبحث الثاني : تفسير الآية الثالثة والأربعون بعد المائة من سورة البقرة.	43
المطلب الأول : الاختلاف في معنى : " وسطا ".	43
المطلب الثاني :الاختلاف في معنى " لنعلم " من قوله {إلا لنعلم من يتبع الرسول }.	50
المبحث الثالث : تفسير الآية السادسة و الأربعون بعد المئة من سورة البقرة.	61
المطلب الأول : الأقوال و أصحابها.	61

المطلب الثاني : أدلة الأقوال.	63
المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.	68
المطلب الرابع: سبب الخلاف.	72
المطلب الخامس: الترجيح.	72
المبحث الرابع : تفسير الآية الخمسين بعد المئة.	76
المطلب الأول : الأقوال وأصحابها.	77
المطلب الثاني : أدلة الأقوال.	77
المطلب الثالث : مناقشة الأقوال.	79
المطلب الرابع: سبب الخلاف.	83
المطلب الخامس: الترجيح.	85
الخاتمة	87
فهرس الآيات القرآنية.	91
فهرس الأحاديث النبوية.	92
فهرس الأعلام المترجم لهم.	93
قائمة المصادر والمراجع.	94
فهرس الموضوعات.	101